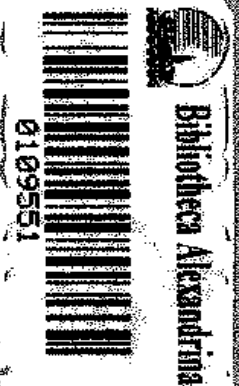


الطبيب الروحاني

« تهذيب الأخلاق »

شرح وتحقيق

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز



الطبيب الروحاني

« تهذيب الأخلاق »

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٩٩٣ هـ - ١٤١٤



دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي - DAMASCUS HALBOUNI M.BAROUDI ST.
ص.ب 232 P.O.Box 232 Telex 412027 هاتف - 234393 - 229425 Tel.

مكتب الأنوار في بيروت - عماد جاسسة بيروت العربية - مجلة الإطفاية - شارع بناء علي القيسار - هاتف (٣١٨٣٠١)

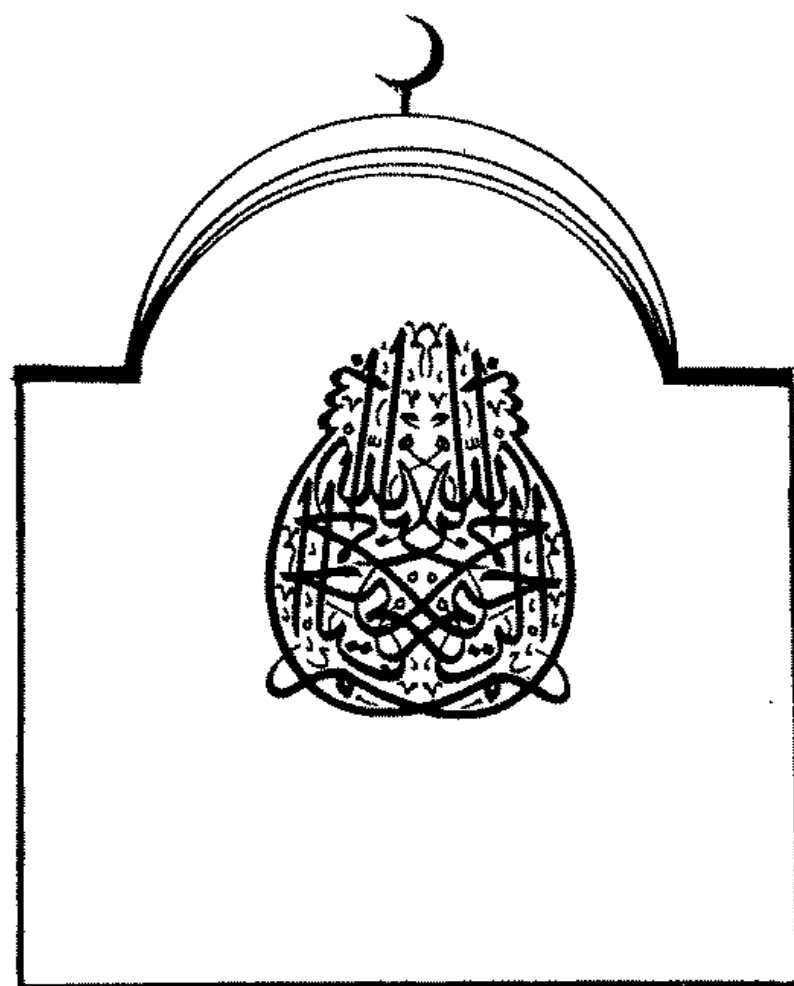
الطبيب الروحاني

« تهذيب الأخلاق »

شرح وتحقيق

الشيخ عبد العزيز عزالدين السيروان





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ بَشَارُكَ وَمَلَأَكَ

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهْكًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابَا ۞ (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ۞ (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۞ (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا
لِلْمُنَاقِبِينَ إِمَامًا ۞ (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۞ (٧٥) خَالِدِينَ
فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞ (٧٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالیه ، المستحق للتحميد والتقدیس والتسبیح والتتبیح ، القائم بالعدل فیما یرمه ویقضیه ، المتکرم بالفضل فیما ینعم به ویسديه ، المتکفل بحفظ عبده فی جمیع مواردہ وبجاریه ، فهو الذی یرشده ویهدیه ، وهو الذی یمیته ویحییہ ، وإذا مرض فهو یشفیه ، وإذا ضعف فهو یقویه ، وهو الذی یوفقه للطاعة یرتضیه ، وهو الذی یطعمه ویسقیه ، ویحفظه من الهلاك ویحمیه ، ویحرسه بالطعام والشراب عما یهلكه ویردیه ، ویمكنه من القناعة بقلیل القوت لیکسر شهوة النفس التی تعادیه ، فیدفع شرها ویعبد ربه ویتقیه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک ، وأشهد أن سیدنا محمداً عبده ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم .
اللهم صل وسلم وبارک علی سیدنا محمد وآله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن موضوع هذا الكتاب تهذیب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب والروح ، فإن الأخلاق الحسنة والروح القویمة أبواب مفتوحة إلى جنات النعم ورضاء الله عز وجل ، ولذلك نرى اهتمام الإمام ابن الجوزي فی هذا الكتاب بطب الروح علاجاً للقلوب والنفوس والأرواح ، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه علی كل ذی عقل وتدبیر ، إذ لا تخلو روح من الأرواح عن أمراض لو أهملت لتراکمت وترادفت وتظاهرت وربما أودت بصاحبها إلى الجحیم ، لذلك

كان لابد من تعلم هذا العلم والتشهير والجد في علاجها واصلاحها ، وهو المراد
بقول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ .
وقد جاء هذا الكتاب على صغر حجمه حاوياً على فوائد جمة ، ونصائح
كثيرة بأسلوب عذب رقيق يقنع الجانح ، ويأخذ بيد المريد إلى أرض مدارج
التائبين العابدين الناجحين في الدنيا والآخرة .
نسأل الله تعالى أن ينفع به ويجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم .

الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه وكنيته

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمّاد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي ، أبو الفرج ، جمال الدين المعروف بابن الجوزي ، والجوزي : نسبة الى فرضة الجوز ، أو الى محلة الجوز في البصرة^(١) ، محدّث ، حافظ ، مفسّر ، فقيه ، واعظ ، أديب ، مؤرخ ، عالم مشارك في أنواع اخرى من العلوم .

يرتقي نسبه إلى أول الخلفاء الراشدين ، أي أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

مولده وحياته ووفاته:

مولده

١٠ \ ♥

يقول ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»: انه ولد في سنة عشر وخمس مائة أو قبلها ، ويؤكد ذلك ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ، أما الإمام الذهبي فقد نقل في كتابه «سير أعلام النبلاء»: أن أبا عبد الله بن الديلمي سأله غير مرة فكان

(١) حيث لمحط السفن في البصرة .

يقول : تقريباً في سنة عشر، كما سأل أخاه عمر فقال : في سنة ثمان وخمسة
تقريباً ، أما ابن رجب الحنبلي فينقل انه قد وُجِدَ بخطه : «لا أحقق مولدي ، غير
أنه مات والدي في سنة أربع عشرة ، وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو
ثلاث سنين ويستخلص أنه ولد في الفترة ما بين ٥١٠ - ٥١١ هـ .

وقد ولد في مدينة بغداد بـ«درب جيب» حيث كفلته أمه وعمته بعد وفاة أبيه
سنة ٥١٤ هـ ثم انفردت بكفالاته عمته التي أسبغت عطفها عليه .

يقول عن نفسه : وقد فإن أبي مات وأنا لا أعقل ، والأم لم تلتفت إلي^(١) ثم
يقول : فرَكَزَ تعالى في طبعي حب العلم . وما زال يوقعني على المهم فالمهم ، ويحملني
إلى من يحملني على الأصول حتى قوم أمري .

وحين بلغ سن الفهم حملته عمته الصالحة الى مسجد أبي الفضل بن ناصر ،
وهو خاله ، فاعتنى به وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن الكريم ، وقرأه على قرائه
برواياته . وما زال يطلب العلم ويرتقي في درجاته ، حتى صار عالم عصره ،
وعلامه زمانه .

حياته

وقد لاقى في طلب العلم صعوبات وشدائد ، لكنه صبر عليها وتجاوزها
دون أن تؤثر على مسيرته العلمية ، وقد قال في ذلك^(٢) «ولقد كنت في حلاوة طلب
للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو»
وقال : «كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج الى طلب الحديث ،
وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء . فكلما أكلت لقمة شربت

(٢) «صيد الخاطر» ٢١٣ .

(١) «صيد الخاطر» ٢٣٥ ، دار الفكر ١٣٩٩ هـ .

عليها ، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم . فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول صلى الله عليه وأحواله وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم ، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم ، حتى انني أذكر في زمان الصبوة ، ووقت الغلظة والعزبة ، قدرتي على أشياء ، كانت النفس تتوق اليها توقان العطشان الى الماء الزلال ، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل^(١) .

ويقول في حديث شيق لابنه في كتابه «لفتة الكبد»^(٢) : «واعلم يا بني أن أبي كان موسراً وخلف الوفاً من المال ، فلما بلغت دفعوا لي عشرين ديناراً ودارين ، وقالوا لي : هذه التركة كلها ، فأخذت الدنانير واشترت كتباً من كتب العلم ، وبعثت الدارين ، وأنفقت ثمنها في طلب العلم ، ولم يبق لي شيء من المال ، وما ذل أبوك في طلب العلم قط» . ويقول : «ما ابتلي الانسان قط بأعظم من علو همته ، فإن من علت همته يختار المعالي ، وقد لا يساعده الزمان ، وقد تضعف الآلة ، فيبقى في عذاب ، واني أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب»^(٣) .

(١) ٤٨ ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٢) مرآة الزمان : ٤٨١ / ٨ .

(٣) سير اعلام النبلاء ٣٧٣ / ٢١ .

أقوال العلماء عنه :

قال عنه أبو المظفر : جدي قرأ القرآن ، وتفقه على أبي بكر الدينوري الحنبلي ، وابن الفراء ، ويقول الذهبي : وعني بأمره شيخه ابن الزغواني ، وعلمه الوعظ ، واشتغل بفنون العلوم ، وأخذ اللغة عن أبي الجواليقي ، وربما حضر مجلسه مائة ألف ، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة . . . وكان زاهداً في الدنيا ، مُتَقَلِّلاً منها . وكان يجلس بجامع القصر والرصافة . . وما مازح أحداً قط ، ولا لعب مع صبي ، ولا أكل من جهة لا يتعين حلها .

وقال عنه ابن الدبيثي في تاريخه : شيخنا جمال الدين صاحب التصانيف في فنون العلم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك . . .

وفاته:

توفي الإمام ابن الجوزي ليلة الجمعة بين العشاءين في الثالث عشر من رمضان سنة ٥٩٧هـ في داره ، وكان غسله وقت السحر ، وغُلِّقَت الأسواق ، وجاء الخلق ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي ، لأن الأعيان لم يتمكنوا من الوصول إليه ، ثم ذهبوا به الى جامع المنصور ، فصلوا عليه ، وضاق بالناس ، وكان يوماً مشهوداً ، فلم يصل الى حفرته - بمقبرة أحمد بن حنبل الى وقت صلاة الجمعة ، وأنزل في الحفرة ، والمؤذن يقول : الله أكبر ، وحزن عليه الخلق . رحمه الله تعالى .

مؤلفاته

حظيت مؤلفات ابن الجوزي شهرة واسعة ، واقبالاً شديداً ، وعناية فائقة من العلماء والباحثين والطلاب - حتى انه لا تكاد تخلو مكتبة عامة أو خاصة من أكثر من كتاب له . ومع ذلك لا نجد احصاءاً دقيقاً لمجموع مؤلفاته وعناوينها . فقد نقل سبطه أبو المظفر انه سمع الإمام ابن الجوزي يقول : «باصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة ، وتاب على يدي مئة ألف ، واسلم على يدي عشرون ألفاً»^(١) ونقل أيضاً ان مجموع تصانيفه مئتان وخمسون كتاباً^(٢) وليس من تعارض بين القولين فبعض تصانيفه تبلغ أكثر من عشر مجلدات .

وقال الذهبي^(٣) : «قلتُ : وكذا وجد بخطه قبل موته أن تأليفه بلغت مائتين وخمسين تأليفاً» .

وذكروا عن ابن تيمية انه قال : «وله مصنفات في أمور كثيرة ، حتى عدتها فرائتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك له ما لم أراه»^(٤) .
وقد قام الاستاذ عبد الحميد العلوجي في طبع كتاب أحصى فيه ما استطاع من كتب ابن الجوزي سبأه : «مؤلفات ابن الجوزي» تعتبر أجمع ما صنف من مؤلفاته . وقد بلغ عنه ما بين مطبوع ومخطوط أكثر من أربعمائة مؤلف ، قسمها الى ثلاث أنواع : مخطوط ، مطبوع ، مفقود .

(١) + (٢) + (٣) سير أعلام النبلاء ٣٧٠/٢١ .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٤٥/١ .

(٥) «صيد الخاطر» ١٤٠ .

فمن المخطوط:

بستان الصادقين في مكتبة (كوبرلي زاده ١/٧٠١ ، تفسير الفاتحة في (داماد باستانبول ٦٣)، حادي قلوب أهل الدار إلى دار القرآن (باستانبول)، الحث على طلب العلم (كوفي مكتبة كوبرة في ١١٥٢)، رسالة في بر الوالدين (الخديوية ١٥٥٣/٧ ، هادي النفوس إلى الملك القدوس (برلين ٨٧٧٠)، وغير ذلك .

ومن المطبوع:

زاد المسير - ذم الهوى - أخبار النساء - دفع سيئة - روح الأرواح - صيد الخاطر - الطب الروحاني - كتاب الحمقى والمغفلين - تلبس ابليس - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . وغير ذلك .

ومن المفقود:

أحصى صاحب «مؤلفات ابن الجوزي ٢٣٣ كتاباً» وجد بعضها وتم نشره بعد تحقيقه .

ومن ذلك كتابه : «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» وقد وجدت منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأحمدية بحلب ، وأقوم بتحقيقه ومقابلته على كتابه : «زاد المسير» .

شيوخه

- ١ - الإمام علي بن عبد الله بن نصر السري ، البغدادي ، المعروف بأبي الحسن بن الزاغوني ، الفقيه ، المحدث ، الواعظ ، الثقة ، توفي سنة ٥٢٨هـ .
- ٢ - الإمام عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن ، المعروف بابن الانماطي ، الحافظ ، الثقة ، قال عنه ابن الجوزي : «ولقيت عبد الوهاب الانماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث . وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكأؤه ، فكنت وأنا صغير السن حينذاك يعمل بكأؤه في قلبي ، ويبي قواعده ، وكان على سمة المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل» توفي سنة ٥٣٨هـ .
- ٣ - محمد بن ناصر بن محمد علي بن عمر أبو الفضل السلامي ، توفي سنة ٥٥٠هـ .

- ٤ - موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي : شيخ أهل اللغة في عصره توفي سنة ٥٤٠هـ . ويقول عنه ابن الجوزي^(١) : «كان كثير الصمت ، شديد التحري فيما يقول ، متقناً ، محققاً ، وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض علمائه ، فيتوقف فيها حتى يتيقن ، وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين (الأخر الانماطي) أكثر من انتفاعي بغيرهما . ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول .

تلامذته

أشار الإمام الذهبي الى تلامذة ابن الجوزي في كتابه «سير أعلام النبلاء» ٣٦٧/٢١ بقوله : «حدث عنه ولدهُ الصاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله ، وولده الكبير علي الناسخ ، وسيطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب «مرآة الزمان» ، والحافظ عبد الغني ، والشيخ موفق الدين بن قدامة وابن الديبشي ، وابن النجار ، وابن خليل ، والضياء ، والبلداني ، والنجيب الحرافي ، وابن عبد الدائم ، وخلق سواهم . وبالإجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ، وابن البخاري ، وأحمد بن أبي الخير ، والخضر بن حموية ، والقطب بن عصرون» .

مراجع ترجمة ابن الجوزي

- الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١٣١/٤ - ١٣٦ . سير اعلام النبلاء :
٣٨٥ - ٣٦٥/٢١ .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧٤/٦ - ١٧٦ .
- ابن الساعي : الجامع المختصر ٦٥/٩ - ٦٨ .
- ابو شامة : الذيل على الروضتين ٢١ - ٢٨ .
- السيوطي : طبقات المفسرين ١٧ .
- ابن كثير : البداية والنهاية ٢٨/١٣ - ٣٠ .
- اليافعي : مرآة الجنان ٤٨٩/٣ - ٤٩٢ .
- ابن العماد : شذرات الذهب ٣٢٩/٤ - ٢١ .
- ابن الأثير : الكامل ٦٧/١١ .
- طشاش كبري : مفتاح السعادة ٢٠٧/١ - ٢٠٨ .
- الخوانساري : روضات الجنات ٤٢٦ - ٤٢٩ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون (كثيرة جداً تنظر في موضعها) .
- البغداددي : هدية العارفين ٥٢٠/١ - ٥٢٣ .
- الكتاني : فهرس الفهارس ٢٢٦/١ - ٢٢٨ .
- بروكلمان : ٤٩٩/١ - ٥٠٨ . الذيل ٩١٤/٢ - ٩٢٠ .
- الزركلي : الاعلام . ٢٣١/ .
- كحالة : معجم المؤلفين : ١٥٧/٥ - ١٥٨ .

مخطوطات الكتاب ومطبوعاته

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على النسخة المعتمد المخطوطة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، الموجودة ضمن مجموع يحوي بعض رسائل وأجوبة مسائل لابن تيمية الحرّاني تحت رقم ٣١٢٨ آ من الصفحات ق ١ إلى ق ٢٦ ، وقد ورد هذا المخطوط في فهرس المكتبة الظاهرية - فهرس الطب والصيدلة . وليس في مكنتات القطر العربي السوري والقطر اللباني الشقيق أي مخطوطات سواها معروفة حتى الآن ، ولكن الأستاذ عبد الحميد العلوجي أشار في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» صفحة ١١٩ إلى وجود مخطوطات أخرى في العالم ، عُرِفَ منها حتى الآن مخطوط : في غوطا برقم ١٢٣٨ ، ومخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد ضمن مجموع برقم ٢٩٠٠ ، بالإضافة إلى هذا المخطوط الذي نَسَبَهُ إلى مكتبة دمشق العمومية ٩٤ .

وكما توضّح لي أثناء مقابلة هذا المخطوط المرفق صور عنه على النسخ المطبوعة ، انه طبق الأصل عن طبعة دمشق ١٣٤٨ هـ ، فهي والحالة هذه لاشك مطبوعة عنه ، كما هو مسجل على غلافها .

مواصفات المخطوط

خطه واضح ، نسخي ، رديء ، سهل القراءة ، بلون أسود كما أن نقاطه واضحة . وأحرفه أحياناً تكون كبيرة ، وأحياناً صغيرة .

وليس للمخطوط أي تعليقات على الهامش ، كما لم يذكر اسم الناسخ عليه ، أو أي سماعات ، أو أي تاريخ .
يبدأ بصفحة هي عنوان المخطوط واسم مؤلفه . وينتهي بنهايته المبينة في صورة المخطوط .

والمخطوط في حالة جيدة جداً ، فليس فيه أي بلى أو تآكل أو غير ذلك ، ومغلف ضمن جلد قديم . وأغلب الظن أنه كُتب في القرن العاشر الهجري ، ضمن المجموع رسائل يعود تاريخها على سنة ٨٣٨ هـ .
عدد أوراقه : ست وعشرون ورقة .
طول الورقة : ٢٣ سم وعرضها ١٥ سم .
في كل صفحة : سبعة عشر سطراً
لون الورق : أسمر ، وسط السهابة .

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي قدّر الداء ودمر الدوا ولم يهبط لمن اشقى على
 شفا هلكة الشفا احده على كل ما صدر عن قضائه وجاء انلق
 نعضله ومنه الرجا واسعدان لا اله الا الله وحده لا شريك له نور
 الفضاضا واسعدان محرابه وروى اشرف من وطى الارض
 والسما وعلى اصحابه واروا به صلاة تعم الاتباع والاولاد وسلم سلمنا
 لا حجة لنا في طب الايمان وبسمته لقط المنايع اثرت ان اشغته
 كتاب في طب النفوس اسميه الطب الروحاني فان طب الايمان اصلاح
 الصور وطب النفوس اصلاح المعاني وهي اشرف والى الله سبحانه الرقية
 في الشفع العاجل والاجر الاصل انه جدير بتبليغ الامال من من
 معدمه من الداء اعلم ان صبح ما وضع في الادى انما وضع لمصلحة
 اما الاجتلاب ليع لسهوه المطعم اول دفع ضرر كالغضب فاذا
 رادت سهره المطعم صارت شوقها فاذا ذت واذا زاد الغضب
 احمر الى الفساد وهذا الداء موضوع لا يتقال فابن الصليب

شاك ويزالضواحل السباق وبادرنا ان نشتد فابهر عوارك
 هو ايا بجهد عماره وشمه وشمه هو اه الاصلاح امرة ونفطع من العلم منه
 عليه مسعود عن الله ويتضح قصده وخوارجه معبلة بالجد على طاعته
 وقد امتنع بما رزقه الله عن منق حلقه وعف عن اموالههم حفظا له منه
 نسا ذم بقناء عظمه وازال فسادهم وعظمه فابر عالمهم بها الانصاف
 بما خذ عليهم بعضه وازا شقتا ربه احبده في نعمهم على انه مشعول
 عن الطرب نفسه متاهب للنقله همه جمع رحله يودي الى كل لحظة
 مرضها من الحواسن تقوى لربه ويستطهر بكثرة الزاد لعلمه طول
 شوطه ثم يحتل بهدب العلم في حياه يحيى به اثره بعد موته
 ويزهد في الدنيا ولا يتناول الاقوت وقته فان شئ لنفسه
 ما لم اراده يعويه حمله على حمله ثم لم ينزل به عريان حاله حتى دعا
 الى حبه فانصب الصب وانحط في شللكم فهو من الكلو جسم
 وعند الكلو عليه اولد ركان الله في ارضه تقوى انفا من المردن
 واشتلتا في اخدم ويلفظه ويفوح لشرحه من يتوعد فن
 راجله في كره قبل البست ببوتهم هيبه تجبر عن كل بقدره
 وادارت اعماهم يعوى على المود في طرب صبره والمشتقون
 فلك العيامه نجومهم لشمسه او كبدته زودنا الله وفاقم

آخر الكتاب —————
والله اعلم
وحسنه ونعم الوكيل

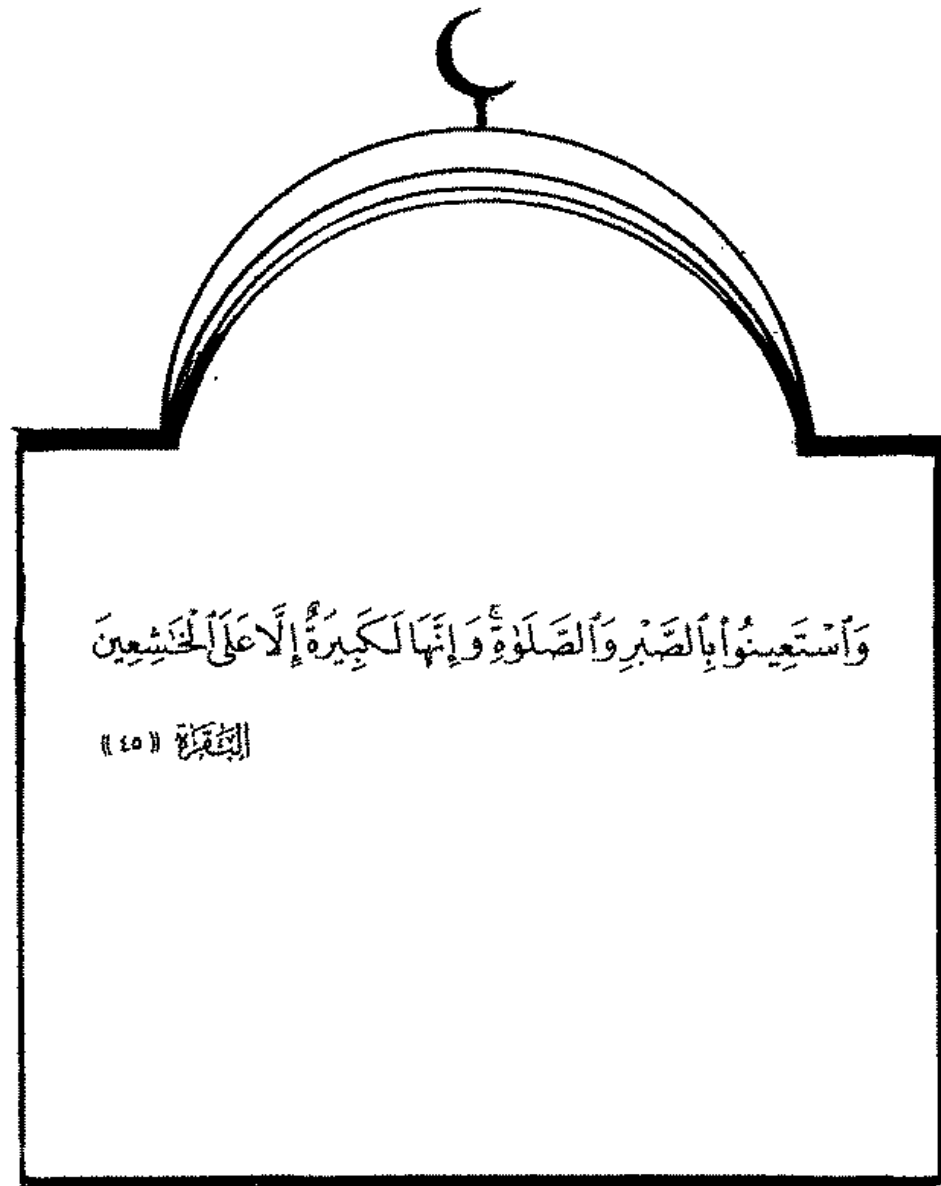
شیخ الاسلام علامہ محمد رفیع الدین صاحب دہلی دارالعلوم دیوبند
 و روضہ قاریہ دہلی دارالعلوم دیوبند
 سنیہ الخیر دارالعلوم دیوبند

طبعات الكتاب

كثيرة جداً طبعات هذا الكتاب وأغلبها في لبنان وفي مصر ، ولكنها في مجموعها عالية على النسخة المطبوعة في دمشق سنة ١٣٤٨ هـ في مطبعة الترقى بعناية مكتبة القدسي والبدير ، أخذت عنها بدقة وبغير دقة ، وهذه المطبوعة أخذت عن النسخة المخطوطة التي اعتمدناها.

خطة التحقيق

- نظراً لأن الكتاب معروف وطبع كثيراً ، فلم أوليه الكثير من العناية بل اكتفيت بضرورات التحقيق ، فاقصر عملي على ما يأتي :
- ١ - مقابلة المخطوط على النسخ المطبوعة ، واعتماد المخطوط لصحته .
 - ٢ - ضبط الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، وأسماء الأعلام وتخريجها عن كتب الأصول عدا أسماء الأعلام المعروفين جداً أو المهملين جداً .
 - ٣ - ألحقته بفهرس للموضوعات .
 - ٤ - قدمت له بمقدمة بسيطة عرفت فيها بموضوع الكتاب وبمؤلفه راجياً من الله عز وجل أن ينفع به ، ويؤتيني أجره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

يَبْنَئُ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي قدر الداء ، ودبر الدواء ، وكم وهب لمن أشفى^(١) على شفا^(٢) هلكة الشفاء ، أحمده على كل ما صدر عن قضائه ، وجاء وأعلق بفضله ومنه الرجاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نور الفضاء فضاء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من وطئ الأرض والسماء ، وعلى أصحابه وأزواجه صلاة تعم الأتباع والأولياء ، وسلم تسليماً كثيراً . لما جمعت كتاباً في طب الأبدان وسميته «لقط المنافع» آثرت أن أشفعه بكتاب في طب النفوس أسميه «الطب الروحاني» فإن طب الأبدان اصلاح الصور وطب النفوس اصلاح المعاني وهي أشرف ، وإلى الله سبحانه الرغبة في النفع العاجل ، والأجر الآجل ، إنه جدير بتبليغ الآمال من منه .

مقدمة قبل الكتاب

اعلم أن جميع ما وُضع في الأدمي إنما وُضع لمصلحته إنما لاجتلاب نفع
كشهوة المطعم أو لدفع جِدِّ كالغضب ، فإذا زادت شهوة المطعم صارت شرَّهاً ،
وإذا زاد الغضب أخرج الى الفساد . وهذا الكتاب موضوع الاستعمال قانون
الصواب من خلال الباطن وكفَّ الهوى عن المؤذي منها ، وعلاج ما خرج
لموافقة الشهوة عن القانون الصحيح . وقد قسمه ثلاثين باباً : (الأول) : في فضل
العقل . (الثاني) : في ذم الهوى . (الثالث) : في الفرق بين ما يرى العقل
وما يرى الهوى . (الرابع) : في دفع العشق عن النفس . (الخامس) : في دفع
الشر . (السادس) : في رفض رياضة الدنيا . (السابع) : في دفع البخل .
(الثامن) : في النهي عن التبذير . (التاسع) : في بيان مقدار الاكتساب والانفاق .
(العاشر) : في ذم الكذب . (الحادي عشر) : في دفع الحسد . (الثاني عشر) : في
دفع الحقد . (الثالث عشر) : في دفع الغضب . (الرابع عشر) : في دفع الكبر .
(الخامس عشر) : في علاج العجب . (السادس عشر) : في علاج الرياء .
(السابع عشر) : في دفع فضول الفكر . (الثامن عشر) : في دفع الحزن . (التاسع
عشر) : في دفع الهم والغم . (العشرون) : في دفع الخوف والحذر من الموت .
(الحادي والعشرين) : في دفع فضول الفرح . (الثاني والعشرون) : في دفع
الكسل . (الثالث والعشرون) : في تعريف الرجل عيوب نفسه . (الرابع
والعشرون) : في تنبيه الهمة الدنية . (الخامس والعشرون) : في ذكر رياضة
النفس . (السادس والعشرون) : في رياضة الأولاد . (السابع والعشرون) : في
رياضة الزوجة ومداراتها . (الثامن والعشرون) : في رياضة الأهل والمهاليك .

اظ

(التاسع والعشرون) : في معاشرۃ الناس ومداراتهم .

(الثلاثون) : في ذكر السيرة الكاملة .

الباب الأول



في فضل العقل

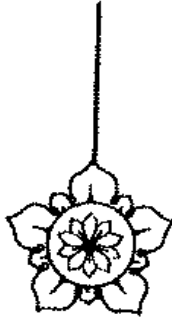
قد اختلف الناس في ماهية^(١) العقل ، ومسكنه ، وأطالوا ، وقد رويت في فضله أحاديث كثيرة . وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتابنا المسمى «بذم الهوى»^(٢) ، فلا نُعيدُها ، بل نذكر ههنا جملة ، فنقول :

إنما يُعرف فضل الشيء بثمرته ، ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه ، فإنه استدُلَّ عليه حتى عَرَفَه ، وعلى صدق الأنبياء حتى علمه ، وحثُّ على طاعة الله ، وطاعة رسله ، ودُبُر في نيل كل صعب حتى ذُلَّ البهائم ، وعَلَّمه صناعة السفن التي «٣/و» بها يتوصل إلى ما حال بيننا وبينه البحر ، واحتال على طير الماء حتى صيدت ، وعيَّنهُ أبدأ تراقب العواقب ، وتعمل بمقتضى السلامة فيها والعوز ، ويترك العاجل للأجل ، وبه فضُّله الأدمي على جميع الحيوان الذي فقده ، وبه تأهَّل الأدمي لخطاب الله سبحانه وتكليفه ، وبه يبلغ الإنسان غاية ما في جوهر مثله أن يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل . وكفى بهذه الأشياء فضيلة لا يبعثها . فليُكتَفَ بهذه الجملة عن الإطالة .

(١) نقل المؤلف في كتابه «بذم الهوى» ص ٥ ، ٦ كثير من التعريفات عن كبار العلماء كالمحاسبي والتميمي وأحمد بن حنبل ، ثم قال : والتحقيق في هذا : ان يقال : العقل عزيزة ، كأنها نورٌ يقلد في القلب فيستعد لأدراك الأشياء ، فيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمح عواقب الأمور ، وذلك النور يقل ويكثر . . . ثم يقول : وأكثر أصحابنا يقولون : محله القلب ، وهو يروي عن الشافعي ، ودليلهم قوله تعالى : (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) [الحج ٤٦] .

(٢) طبع عن عدة مخطوطات نفيسة بتحقيق مصطفى عبد الواحد لأول مرة سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢ في مصر - دار الكتب الحديثة ، في ٧٢٨ ص مع الفهارس .

الباب الثاني



في ذم الهوى

الهوى : ميل الطبع الى ما يلائمه^(١) ، فلا يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحاً ، وإنما يذم الإفراط فيه . فمن أطلق ذم الهوى ، فلأن الغالب فيه ما لا يحل ، أو يتناول المباح بإفراطه .

واعلم أن النفس منها : جزء عقلي ، فضيلته الحكمة ، ورذيلته الجهل ، وجزء غصبي : فضيلته الحدة ، ورذيلته الجبن . وجزء شهواني : فضيلته العفة ، ورذيلته إطلاق الهوى .

فالصبر عن الرذائل فضيلة للنفس ، بها يحتمل الإنسان الخير والشر ، فمن قل صبره ، فحكّم هواه على عقله ، فقد صير المتبوع تابعاً ، والمأموم إماماً ، فلا جرم أن جميع ما يرومه ينعكس عليه ، فإنه يتأذى من حيث قدر النفع ، ويحزن من حيث أراد الفرح .

وإنما فضل الأدمي على الحيوان البهيمي بالعقل الذي أمر « ٣ » بكف الهوى ، فإذا لم يقبل قوله ، وحكّم الهوى ، كان الحيوان البهيمي أعذر من الأدمي .

ويدل على فضل خلاف الهوى : تقديم كلب الصيد ، وإكرامه على أبناء جنسه ، وذلك لمكان مخالفته للهوى من حبس ما صاده على صاحبه ، دون أكله خوفاً من عقوبته أو شكراً لنعمته .

واعلم أن الهوى في ضرب المثل : كالماء الجاري الحديد^(٢) الجرية ينحدر بسفينة الطبع ، والعقل مراد ، فإن عقل المراد وتوانى مر الماء بالسفينة .

(١) التعريف نفسه أورده في كتابه « ذم الهوى » ص ١٢ ، ١٣ مع بعض الشرح والتفصيل .

(٢) على وزن « فعيل » من حد ، أي : قوي الجريان .

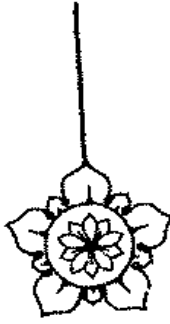
وينبغي للعاقل أن يعلم أن مقاساة الشدة في خلاف الهوى أسهل مما يلقي في موافقته ، وأقل ما يلقي موافقو الهوى أنهم يصيرون الى حالة لا يلتذون به فيها ، ثم لا يصبرون عنه ، لأنه يصير بالإدمان عادة ، كمُذمّي الجِماع وشراب الخمر . والتفكر في هذه الأشياء تهوّن على الإنسان رفض الهوى . ومما يهوّن الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه ، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة الهوى ، فإن الجَمَل يأكل أكثر منه ، والعصفور يسافد^(١) أكثر ، والبهاائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا شَوْبَ بهم وغم . فلما نقص حظ الأدمي من الشهوات ، ثم شبيت^(٢) بالنقص ، عُلِمَ أنه لم يخلق لذلك . وقد بيّنتُ لك أن المذموم من الهوى ما أفرطَ ، وهو الذي يحكم عليه العقل بالخطأ . فأما ما تهواه^(٣) مما تضطر الى تناوله ويُعينها على إصلاح حالها فممدوح لا مذموم .

(١) أي : يُجامع .

(٢) شبيت : خِلَطَتْ .

(٣) الضمير «الهاء» يعود الى النفس .

الباب الثالث



في الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى

و٤/

اعلم أن الهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر في عاقبته ، وقد يعلم أن تلك اللذة تجلب ألماً يربو عليها ، وتمنع صاحبها نيل أمثالها^(٤) ، والهوى مُعرض عن النظر في ذلك ، وتلك حالة البهائم إلا أن البهائم أعذر ، لأنها لا ترى العاقبة . ولا ينبغي للعقل أن ينزل عن رتبة بها شرف ، وارتفع إلى مقام من حط . فأما العقل ، فإنه يراقبُ العواقب ، وينظرُ في المصالح ، فمثله كمثل الرجل الحازم ، والطبيب الناصح ، ومثل الهوى كمثل الصبي الجاهل ، والمريض الشره .

فينبغي للبيب إذا اختلف عقله وهواه ، وقد علم أن العقل عالم ناصح : أن يستشيرَه ، وأن يصبر على مضض ما يأمر به ، ويكفيه في إثارة العقل علمه بفضلِه . فإن رام زيادة دليلٍ على صحة قوله ، فيتأمل عواقب ما يجنيه الهوى على أربابه : من هتك الأستار ، والفضيحة بين الخلق ، وحط المنزلة ، وفوت الفضائل ، وهل وكس^(٥) جاء ، أو ذل عزيز ، أو صيد طائر ، إلا بموافقة الهوى . وما يوضح له الدليل أن يقدر بلوغ غرضه قبل نيله ، ثم ينظر في حاله بعد انقضاء لذته وما اكتسبه ، ويزن الالتذاذ بالجنائية ، فيعلم حينئذ أنه قد خسر أضعاف ما ربح ، وقد أنشدوا في ذلك :

كَمْ لَذَّةٌ مُسْتَفْزَةٌ فَرَحاً قَدْ انجَلَتْ عَنْ غُيُومِ آفَاتِ
كَمْ شَهَوَاتٍ سَلَبْنَ صَاحِبَهَا ثَوْبَ الدِّيَانَةِ وَالْمَرْوَاتِ

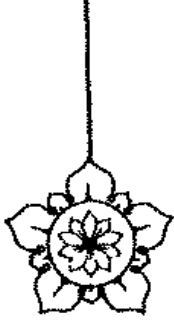
(٤) أمثالها من اللذات .

(٥) الوَكْسُ : النقص والخسّة والتوبيخ ، ووَكُسُ الجاه : نقصانه .

واعلم أن الإنسان إذا وافق هواه ، وإن لم يضره ، وجد من نفسه « ٤ / ط »
دُلّاً لمكان أنه مغلوب . وإذا قهر هواه ، وجد في نفسه عزاً لأجل أنه غالب .
ثم أنت ترى الناس إذا شاهدوا زاهداً تعجبوا منه ، وقبلوا يده ، وما ذاك
إلا أنه قَوِيَ على ترك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى .

الباب الرابع

في دفع العشق عن النفس



هذا مرض قد تَلَفَ^(١) به خلق كثير ، تارة في أبدانهم ، وتارة في أديانهم ، وتارة فيهما . ولأجله وضعتُ كتاب «ذم الهوى»^(٢) ، وقد ذكرتُ هناك من الأدوية ما يكفي ويشفي ، إلا أني أذكر ههنا جملة لثلا يخلو الكتاب مما قد رسم فيه ، فأقول :

من احتمى عن التخليط بغض البصر ، وكفَّ النظر ، سلم من هذا المرض ، فإذا لم يحتمِ حصلَّ عنده من المرض بمقدار تخليطه ، فإن تدارك الأمر قبل استحكامه فربما نفع الدواء ، وإن تركه إلى أن يستحكم لم ينفعه علاج . واعلم أن مجرد النظر إلى المستحسن لا يكاد يوجب العشق ، وإنما إذا ازداد^(٣) النظر بحصله ، ويعينه قوة الطمع ، فيساعده الشباب والشهوة . فمن أراد العلاج ، فليبادر به قبل أن يستحكم المرض ، وذلك بقطع السبب ، والصبر في ذلك على المضض ، فإن اليأس أعظم دواء ، وأقوى معين على ذلك : خوف الله تعالى ، وزجر النفس الأبية عن مواقف اللذ ، وتذكُّر عيوب المحبوب الباطنة ، كما قال ابن مسعود^(٤) : إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتها^(٥).

(١) أي : هلك .

(٢) انظر فصل «العشق» .

(٣) في المخطوط «وإنما يزداد النظر محصله» .

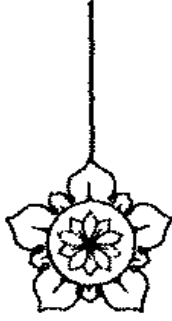
(٤) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقربة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول من جهر بقراءة القرآن الكريم بكسرة . كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه في حله وترحاله ، يدخل عليه كل وقت ، ولي بيت مال الكوفة ، له ٨٤٨ حديثاً ، كان يحب الاكثار من التطيب ، توفي سنة ٣٢ هـ عن نحو ستين عاماً .

(٥) معانيها ، ومثالبها وفي كتاب «ذم الهوى» مناتها .

ومنى كان المحبوب مقدوراً «و/هـ» عليه مباحاً كان الجمع بينهما أعظم
الدواء ، وإلا فالنكاح في الجملة يُخفف المرض ، واستجداد الزوجات ،
واستحداث الجوارى ، وطول السفر ، والتفكر في خيانة المحبوب وتجنبه ، والنظر
في كتب الزهد ، وذكر الموت ، وعيادة المرضى ، وزيارة القبور .
ثم يتفكر في وجود غرضه وانقضائه ، وسأته مع الزمان ، وتغير الخلق ،
وليتصفح العبر في نفسه وغيره ، فلعل غيره يأخذ بيده . فيتتاشه^(١) من هذه الهوة ،
ويجتنبه من هذه الورطة .

(١) أي ينقله .

الباب الخامس



في دفع الشره

اعلم أن الشره إذا أطلق انصرف إلى موافقة الهوى في المطاعم، وكم قد أوجبت من أمر فزالت بأسرابها إلى التلف، وهي علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية.

قال الحارث بن كلدة :^(١) الذي قتل البرية، وأهلك السباع في البرية، إدخال الطعام على الطعام. وقال «٥/ظ» غيره : لو قيل لأهل القبور ما كان سبب آجالكم لقالوا : التخم.

وساق بسنده إلى الحسن^(٢)، قال : قيل لسُمرة^(٣) : إن ابنك لم ينم الليلة !

قال : أبشأ؟^(٤)

قيل : بشأ.

قال : لو مات لم أصل عليه.

(١) هو الحارث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب في عصره، وأحد الحكماء المشهورين، من الطائف، رحل إلى بلاد فارس وأخذ الطب عن أهلها، مولده قبل الاسلام، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من به علة أن يأتيه فيتطيب عنده، له كتاب «معاورة في الطب» توفي نحو ٥٠ هـ «طبقات الأطباء ١/١٠٩» «الأعلام ٢/١٥٧».

(٢) هو الحسن البصري بن يسار، تابعي جليل، امام أهل البصرة، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، توفي سنة ١١٠ هـ «حلية الأولياء ٢/١٣١» «الأزهرية ٣/٧٥» «الأعلام ٢/٢٢٧».

(٣) هو سمره بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي، من الشجعان القادة، نشأ في المدينة، ونزل البصرة، كتب «رسالة» إلى بني فيها علم كثير، توفي سنة ٦٠ هـ.

(٤) أكثر من الطعام حتى التخمة.

البشم في الطعام والبرغ^(٥) في الماء .
قال رجل لرجل يعيره : مات أبوك بشياً ، وماتت أمك بقرأ !
وعن عقبة الراسبي ، قال : دخلتُ على الحسن ، فوافقته يتغذى ، فقال :
هلم .
فقلت : أكلتُ حتى لا أستطيع أن أكل .
فقال : سبحان الله ، ويأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل !؟

فصل

(عيوب الشبع)

فصل

واعلم أن العاقل يجب أن يأكل ليبقى ، والجاهل يؤثر أن يبقى ليأكل ورب لقمةٍ
منعت لقمات ، وكانت سبب الهلاك ، وقد بينتُ عيوب الشبع في كتاب «لقط
المنافع»^(١) ، وإنما المقصود ههنا زجر النفس الشرهة لتكف الكف عما يؤذيها . وفيما
ابتدأت به من ذكر فضل العقل وذم الهوى ما يكفي في الامتناع من كل رذيلة ،
وهجر ما يخاف عواقبه .

(٥) كثرة الشرب .

(١) وهو مطبوع ، وله مختصر أيضاً بعنوان : «مختصر لقط المنافع» مطبوع أيضاً بتحقيق أحمد
يوسف الدقاق . طبع دار المأمون بدمشق .

فصل (الشره في الجماع)

وقد يكون الشره في الجماع ، وقد بينت في كتاب «اللُّقط»^(١) : أنه كلما كثر استعماله امتنعت أوعية «المني»^(٢) ، فأنجذب إليها غذاء ليس بنضيج ، واستلبت قوى الأصول ؛ وهي الدماغ ، والقلب ، والكبد ، فتبرد الحرارة الغريزية ، ويسرع لذلك الهلاك .

ثم إن صورة الوطء تنبؤ^(٣) عنها النفوس الشريفة ، إلا أن يدفع شر محتقن أو يطلب ولد ، فأما أن يصير عادة يكون بالتمتع بنفس الفعل ، فتلك مزاحمة البهائم .

فصل (الشره في جمع المال)

وقد يقع الشره المال ٦ / وهو من الجنون البارد إذا زاد على قدر الحاجة ؛ لأن المال لا يُزاد لنفسه ، وإنما يُراد لنفسه ، وإنما يُراد لغيره . ولا ينكر على من جمع مالا غنى للنفس عنه ، فاستغنى به عن الناس ، وأغنى أولاده ، وبذل بعضه للمحتاجين .

إلا أنه ينبغي للمعاقل بعد حصول المقدار والمتوسط من ذلك أن لا يضيع

(١) أي ، كتابه «لقط المنافع»

(٢) ماء الرجل الذي يخرج من صلبه .

(٣) تنبؤ : تعافها .

الزمان الشريف ، وأن يخاطر بالروح التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب البحار ،
وما أحسن قول الشاعر :

وَمَنْ يُنْفِقِ الْأَيَّامَ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَافَةً فَقِيرٍ فَالْأُذَى فَعَلَ الْفَقْرُ
وكم قد رأينا وسمعنا عن أقوامٍ يُقْتَرُونَ على أنفسهم في إلتفاق ، ويركبون
مع كبر السن البحار ليربحوا بزعمهم ، فهلكوا في أسفارهم ، وما بلغوا بعض
أغراضهم .

وهذا المرض ينبغي أن يُداوى بتلْمُح المقصود من المال ، والموازنة بين
حصوله وبين المخاطرة بأنفس نفيس ، وهي النفس والوقت ، فمن شاور عقله
فَهُمَّ المراد ، ومن غلبه مرضُ الحرص هلك في بيءاء الشره ، ولا وارث إلا وارث
إلا المطية والرحل .

فصل

(الشره في فنون ما يلتذ به)

وقد يقع الشره في فنون ما يلتذ به من الأبنية المنقوشة ، والخيل المسومة ،
والملابس الفاخرة ، وغير ذلك .

وهذا مرضٌ أصله موافقة الهوى ، وعلاجه أن يعلم أن الحساب على كسب
الخلال شديد عزيز ، والتبذير ممنوع منه ، وأن الله تعالى لا ينظر إلى من جرَّ ثوبه
خيلاء ، وأن كل شيء يُوْخِر المؤمن عليه إلا البناء .

فالعاقل مَنْ نَظَرَ في مقدار إقامته ، وتلْمُح بيت نقلته ،^(١) فحينئذ يقنع من
الثبات بما يواريه ، ومن البنيان ما يؤويه ٦ / ظ .

وفي الحديث : أن نوحاً عليه السلام لبث في بَيْتٍ شَعْر^(٢) ألف سنة
إلا خمسين عاماً .

(١) أي قبره الذي سوف يؤويه .

(٢) بيوت كانت تُقام من جلود الغنم والماعز والإبل .

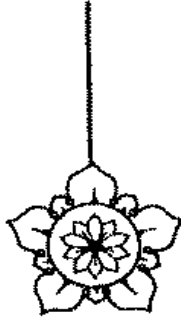
وأن رسول الله ﷺ ما وضع لبنة على لبنة^(١) .
وكان في ثوب عمر اثنا عشر رقعة^(٢) .
فهؤلاء فهموا أن الدنيا مفازة^(٣) ، والمفازة لا تتوطن ؛ فمن فاته العلم بهذا
مرض ، مرض الشره ، وعلاجه النظر في العلم ، والتأمل بسير العلماء العقلاء .

(٣) في هذا مبالغة لأن حجرات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كانت من اللبن «حجارة من طين»

(١) انظر «أخبار عمر» للأخوين طنطاوي .

(٢) مفازة : أي صحراء ، وسميت مفازة أملاً بالفوز منها .

الباب السادس



في رفض رئاسة الدنيا

اعلم أن النفس تحب الرِّفعة والعلو على جنسها ، فتؤثر الإمارة والولاية لمكانة الأمر والنهي ، وهذا وإن كان مطلوباً إلا أن فيه مخاطر : أقلها العزل بعد الولاية ، وأعظمها الجور في الحكومة ، وأوسطها تضييع الزمان إذا لم تصحّ للوالي نية .

وينبغي لمن أحب الولاية أن يعلم أنه إنما يتخايلها عظيمة ما لم ينلها ، فإذا نالها هانت عنده ، وسما إلى غيرها ، فاللذة تزول ، والأوزار تبقى ، والمخاطرة بالنفس والدين ، فالتفكير في هذه الأشياء علاج .

بسند إلى أبي أمامة ، عن النبي ﷺ ، قال : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ ، لَهَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَكَهْ بَرَّهُ ، أَوْ أَوْبِقَهُ »^(٣) ؛ أَوْهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ ، وَآخِرُهَا خَزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٤) .

بسند إلى أبي هريرة مرفوعاً : « وَتِلْ لِلْأَمْرَاءِ ، وَتِلْ لِلْعُرَفَاءِ »^(٥) ، وَتِلْ لِلْأَمْنَاءِ . لِيَتَمَنَّى أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مَعْلُوقَةً بِالْثَرِيَّا يَتَذَبَذَبُونَ بَيْنَ

(٣) أوبقه ؛ أهلكه .

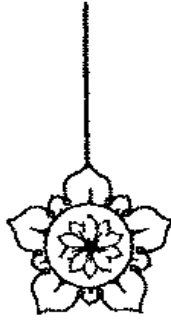
(٤) سنن الدارمي في السير ، باب ٧١ ، مسند أحمد ٤٣١/٢ ، ٢٦٧/٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٢٣ ، الطبراني في «الكبير» ٢٠٤/٨ ، الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : رواه أحمد والطبراني ، وفيه يزيد بن أبي مالك ، وثقه ابن حبان وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

(٥) العرفاء : جمع عريف ، وهو الذي يقوم بأمر الطائفة من الناس .

السماء والأرض ، ولم يكونوا عملوا على شيء»^(٢) .
وفي أفراد مسلم^(٣) من حديث أبي ذر ، قال : قُلْتُ : يا رسول الله
ألا تستعملني ؟ قال : فضربَ بيده ٧ / و على مكبي ، ثم قال : «يا أبا ذر إنك
ضعيف ، وإنها أمانةٌ ، وإنها يومُ القيامةِ خزيٌ وندامةٌ ، إلا مَنْ أخذها بحقها ،
وأدى الذي عليه فيها» . وفي لفظ آخر : «يا أبا ذر إني أُحِبُّ لنفسي ، لا تأمرنَّ
على اثنين ، ولا تولين مال يتيم»^(٤) .

(٢) أحمد في مسنده ٣٥٢/٢ . البيهقي ٩٧/١٠ . ابن عساكر ١٧١/٦ .
(٣) مسلم في الإمارة برقم ١٨٢٥ ، وأبو داود في الوصايا ٣ ، والنسائي في الوصايا ١٠ .
(٤) مسلم في الإمارة برقم ١٨٢٦ بزيادة : «إني أراك ضعيفاً» بعد «يا أبا ذر» .

الباب السابع



في دفع البخل

اعلم أن مجرد الإمساك للمال لا يسمى بخلًا ، لأن الإنسان قد يمسك فاضل المال لحاجته ، ولحوادث دهره ، ولأجل عياله وأقاربه . وهذا كله من باب الحزم ؛ فلا يذم ، وقد يجد قوم قوة في النفس بحفظ المال . وإنما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب ، قال ابن عمر^(١) : من أدّى الزكاة فليس ببخيل . ثم يُقال لمن منع مالا يضره ولا يكاد يؤثر فيه مما يُتتفع به الناس : بخيل ، وقد قال النبي ﷺ : «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبَخْلِ»^(٢) . قال أبو محمد الرامهرمزي : إنما يُشبه البخل : بالداء ؛ لأنه يُفسد الخلق ، ويدفع عن السؤدد^(٣) ، ويكسب سوء الثناء والمذمة ، كما أن الداء يضعف الجسم ، ويبطل الشهوة ، ويغير اللون . وقد قالت الحكماء : الكريم حرٌّ ؛ لأنه يملك ماله ، والبخيل لا يستحق اسم الحرية ؛ لأن ماله يملكه .

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي من العلماء الفقهاء ، بويع بالخلافة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه فأبى ، توفي بمكة سنة ٧٣ هـ «الإصابة ٤٧٢٥» «الأعلام ١٠٨/٤» .
(١) البخاري في الأدب المفرد ٢٩٦ ، مسند الإمام أحمد ٣/٣٠٧ ، ٣٠٨ ، مستدرک الحاكم ٢١٩/٣ .

(٢) السيادة والمجد .

(٣) مسلم في البر ٥٦ ، مسند الإمام أحمد ٢/١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٤٣١ ، ٣٢٣/٣ .

وبسنده عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال : «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَخْلِ فَبَخَلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفَجْرِ فَفَجَرُوا»^(٣) .
 وقال عليه السلام : «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبَخْلُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(٤) .
 قال الخطابي^(٥) : الشُّحُّ أَبْلَغُ مِنَ الْبَخْلِ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْجَنَسِ ، وَالْبَخْلُ بِمَنْزِلَةِ النَّوعِ .
 وقال بعضهم : الْبَخْلُ ٧ / ظ أَنْ يَضُنَّ بِمَالِهِ ، وَالشُّحُّ أَنْ يَبْخُلَ بِمَالِهِ وَمَعْرُوفِهِ .

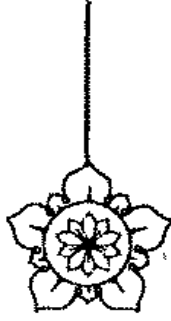
وقال بشر الحافي^(٦) : لِقَاءُ الْبَخْلَاءِ كَرِبَ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 وعلاجُ الْبَخْلِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فَيَرَى أَنَّ فَقْرَاءَ بَنِي آدَمَ لِإِخْوَانِهِ ، وَقَدْ أُوتُوا عَلَيْهِمْ وَأَحْوَجُوا إِلَيْهِ ، فَلْيَجْعَلْ شُكْرَ الْمُنْعَمِ مَوَاسَاةَ الْإِخْوَانِ ، وَلْيَنْظُرْ فِي شَرَفِ الْكَرَمِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ يَسْتَرِقُّ الْأَحْرَارَ إِذَا أَسَدِيَ إِلَيْهِمْ مَعْرُوفًا ، وَيَنْهَبُ عَرْضَهُ الْأَشْرَارَ إِذَا بَخَلَ ، وَلْيَتَيَقَّنْ أَنَّهُ سَيَتْرَكَ مَا فِي يَدَيْهِ ذَمِيمًا فَلْيُخْرِجْ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَ عَنْهُ .

(٤) الترمذي في البراع .

(٥) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان ، فقيه . تَحدث له «معالم السنن» في شرح سنن أبي داود و«بيان اعجاز القرآن» و«غريب الحديث» وغير ذلك ، توفي سنة ٣٨٨ هـ «وفيات الأليان ١/١٦٦» «الأعلام ٢/٢٧٣» .

(٦) هو بشر بن الحارث بن علي المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين ، له في الودع والزهد أخبار ، وهو من الثقات في الحديث ، سكن بغداد ، وتوفي بها سنة ٢٢٧ هـ . «وفيات الأعيان ١/٩٠» «حلية الأولياء ٨/٣٣٦» .

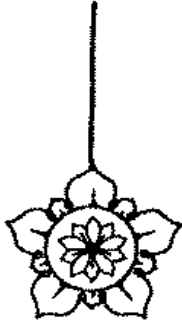
الباب الثامن



في النهي عن التبذير

التبذير مما يأمر به الهوى ، وينهى عنه العقل ، وأحسن الأدب في هذا الباب تأديب الحق سبحانه وتعالى حين قال : (٣) الآية .
واعلم أن الإنسان قد يعطى رزق شهر في يوم ، فإذا بذّر فيه بقي شهراً يعاني البلاء ، وإذا دبّر فيه عاش شهراً طيب العيش .
وعلاج مرض التبذير النظر في العواقب ، والحذر مما يجوز كونه من الحاجة إلى الناس والفقراء ؛ فذلك يكف كفاً التبذير .

(٢) والآية بتأنيدها : وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إنّ المبذرين كانوا إخوان الشيطان لرؤيته كفوراً [الاسراء : ٢٦ ، ٢٧] .



الباب التاسع

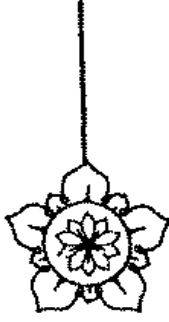
في بيان مقدار الاكتساب والانفاق

الباب التاسع

فينبغي للعاقل أن يكتسب أكثر مما يحتاج إليه ، ويقتني ما يعلم أنه لو حدث به حادثة كان في المقتنى عوض عما ذهب ، ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتنى بحاجته بقية عمره ، ولو جاءه أولاد واحتاج إلى فضل زوجة وخادم^(١) واحتاج ولده إلى مثل ذلك كان في كسبه ما يكفيه .
وفي الجملة ينبغي أن تكون النفقة أقل من الكسب ليقتنى من الفضل ما يكون مُعَدًّا لحادثة لا تؤمن .
وهذا ما يأمر ٨ / وبه العقل الناظر في العواقب ، ولا يبالى به الهوى الناظر إلى الحالة الحاضرة .
وساق بسنده إلى أبي الدرداء^(٢) مرفوعاً : « من فقه الرجل بُعِدَ النظر في معيشته^(٣) » ، وقد روي موقوفاً^(٤) .

-
- (١) أي زوجة زيادة أو خادم .
(٢) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري ، صحابي جليل ، توفي في آخر خلافة عثمان رضي الله عنهما ، وقيل بعد ذلك «الإصابة ٤٥/٣» .
(٣) مسند الإمام أحمد ١٩٤/٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢١١/١ .

الباب العاشر



في ذم الكذب

الباب العاشر

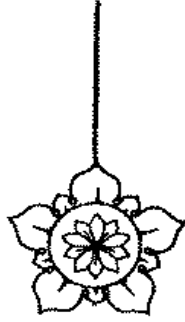
هذا من العوارض التي يدعو إليها الهوى ، وذلك أن الإنسان لمحبته الرئاسة يؤثر أن يكون مُحِبّاً معلماً لعلمه بفضل المخبر على المخبر .
وعلاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب ، وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لابد أن يطلع على حالة فينقص نقصاً لا يتلافى ، فيرين حياة وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم إياه في الصدق ، وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه .
بسنده عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١) وقال ابن مسعود : «كل الخلال»^(٢) يطبع عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب»^(٣) .

(١) مسلم في البر والصلة برقم ٢٦٠٧

(٢) الخلال : الصفات

(٣) الحديث موقوف .

الباب الحادي عشر



في دفع الحسد

الباب الحادي عشر

الحسد ، تمنى زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصبر للحاسد مثلها . وسبب ذلك حب الميزة على الجنس ، وكراهة المساواة ، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود .

وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه في باطنه ، ولا يَأْثِم الإنسان بوجود ذلك ، بل يَأْثِم بالتمنى لزوال النعمة عن أخيه المسلم .
واعلم أن الحسد يوجب طول السهر ، وقلة الغذاء ، ورداءة اللون ، وفساد المزاج ، ودوام ٨ / ظأ الكمد .

قبل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة : ما أطول عمرك ؟ .
فقال : تركت الحسد ، فبقيت .

واعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا ، فإنك لا ترى أحداً يحسد قوام الليل ، ولا صوام النهار ، ولا العلماء على العلم ، بل على الصُّيت والذكر .
وعلاج هذا المرض : أن يعلم أولاً أن الأقدار السابقة لا بد أن تجري ، وأن الاحتيال في صرف المقدور غير ممكن ، وأن القسَام حكيم ، ثم هو مالك يعطي ويحرم ، فهو الذي خلق الطرف ^(١) السابق والكودن ^(٢) ، وكان الحاسد مضاد لإرادة المعطى سينحاته .

وقال بعض الحكماء :

(١) الطرف : الخيل الأصيل .

(٢) الكودن : الخيل المهجين .

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْآدَبُ
أَسَاءَتِ عَلَى اللَّهِ فِي فَعْلِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَجَازَاكَ عَنِّي بِأَنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجُوهَ السُّطُلِ
ثُمَّ أَنَّ الْمَحْسُودَ لَمْ يُنْقِصِ الْحَاسِدَ مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا مِنْ يَدِهِ ، فَقَصَدُ
الْحَاسِدِ زَوَالَ مَا أُعْطِيَهِ ظَلَمَ مُحَضَّرٌ .

ثُمَّ يَنْبَغِي لِلْحَاسِدِ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ الْمَحْسُودِ ، فَإِنْ كَانَ إِغْمَا نَالَ الدُّنْيَا فَقَطْ ،
فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْحَمَ لَا أَنْ يُحْسَدَ ؛ لِأَنَّ الَّذِي نَالَ فِي الْغَالِبِ عَلَيْهِ لَا لَهُ ، وَهَلْ
فَضُولُ الدُّنْيَا إِلَّا هُمُومٌ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ (١) :

ذَكَرَ الْفَقِيهُ عَمْرُو الثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَاقَاتِهِ وَفَوْضُولَ الْعَيْشِ أَشْغَالَهُ ،
وَبَيَّانَ هَذَا أَنَّ الْكَثِيرَ الْمَالِ شَدِيدُ الْخَوْفِ عَلَيْهِ ، وَالْكَثِيرَ الْجَوَارِي شَدِيدُ
الْخُذْرِ عَلَيْهِمْ ، قَوِي الْإِهْتِمَامِ بِهِمْ ، وَالْوَالِي خَائِفٌ مِنْ ٩/و الْعِزْلِ .

ثُمَّ لِيَعْلَمَ أَنَّ النِّعَمَ كَثِيرَةَ الْأَكْدَارِ ، ثُمَّ هِيَ قَلِيلَةُ اللَّبَثِ ، وَالْمَصَائِبُ
تَرْدِفُهَا ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ النِّعْمَةِ يَنْتَظِرُ زَوَالَهَا أَوْ زَوَالَهَا عَنْهَا .

ثُمَّ لِيُوقِنَ أَنَّ مَا يُحْسَدُ عَلَيْهِ الْمَحْسُودُ لَيْسَ هُوَ عِنْدَ الْمَحْسُودِ كَمَا هُوَ عِنْدَ
الْحَاسِدِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ فِي أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ اللَّذَّةِ ، وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ
الْإِنْسَانَ يَسْمُو إِلَى أَمْرٍ ، فَإِذَا نَالَ بَرَدَ عِنْدَهُ ، وَصَارَ عَادَةً لَهُ ، فَهُوَ يَسْمُو إِلَى مَا هُوَ
أَعْلَى مِنْهُ ، وَهَذَا الْحَاسِدُ يَرَى الْأَمْرَ بِعَيْنِ الْجَدَّةِ وَالْغِبْطَةِ .

وَلِيَعْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّهُ لَوْ عَاقَبَهُ الْمَحْسُودُ لَمَّا نَالَ بِأَشَدِّ مِنَ الْأَذَى الَّذِي هُوَ فِيهِ ،
فَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعِلَاجِ فَلْيَسَعْ فِي التَّسَبُّبِ إِلَى مِثْلِ مَا نَالَ الْمَحْسُودُ ، فَقَدْ
قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَقَدْ خَشِيتُ الْهَمَّ حَتَّى فِي الْحَسَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَسَدَ جَارَهُ

(٣) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ ، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ ، الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٤ هـ
«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/٣٦» الْأَعْلَامُ ١/١١٥ .

(١) قَلِيلَةُ الْبَقَاءِ

على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله ، أو على العلم سهر وتعلم فقد صار الناس
يُحبون البطالة ، ثم يذمّون الواصل إلى المعالي ، وما أحسن ما قال الرضي .
ذنبى إلى الهم الكوادن أننى الطرف المطهم^(١) والأغر^(٢) الأقرح^(٣)
يُولُونِي خِزْر^(٤) العيون لأننى غلّست^(٥) في طلب العلى وتصبّحوا
وجذبت بالطلول^(٦) الذى لم يجذبوا ومتحت^(٧) بالغرب الذى لم يمتحوا
لو لم تكن لي في العيون مهابة لم يطعن الأعداء فيّ ويقدحوا
فإن لم ينل ما نال المحسود ، فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه وحبس
ما في قلبه .

فصل (الأحاديث التي تدم الجسد)

وقد جاءت الأحاديث بدم الجسد ، بسنده إلى الزبير بن العوام^(١) ، قال :
قال رسول الله ﷺ : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَالْبَغْضَاءُ
هِيَ الْحَالِقَةُ ، حَالِقَةُ الدِّينِ وَحَالِقَةُ الشَّعْرِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى
تُحَابُّوا ، أَفَلَا أُبَيِّنُكُمْ شَيْئاً إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّيْتُمْ ، أَفَنُشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ^(٢) .

(٢) المطهم : الخيل الأصيل الكريم الحسب الجميل من كل شيء

(٣) في جبهته بياض .

(٤) بياض غرته بقدر الدرهم .

(٥) أي ينظرون إليه شزراً .

(٦) الغلس : ظلمة آخر الليل : أي بكر في طلب العلوم . وهم تأخروا

(٧) الحبل الشديد .

(٨) استقى بالدلو الوافرة الكبيرة

(٩) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي الصحابي الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ،

وأول من سلّ سيفاً في الإسلام ، أسلم وله ١٢ سنة ، قُتل غيلة يوم الجمل سنة ٣٦ هـ له

٣٨ حديثاً «حلية الأولياء ١/٨٩» «الأعلام ٣/٤٣» .

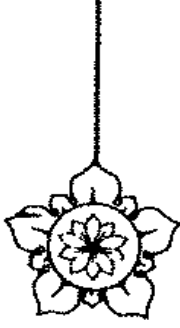
(٦) رواه الترمذي في القيامة ٢٥١٠ ، وأبو داود في الأدب ، والإمام أحمد في مسنده ١/١٦٥ ،

١٦٧ ، والبيهقي ١٠/٢٣٢ .

وبسنده قال عمر بن ميمون : رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش ، فغبطه بمكانه ، فسأل عنه ، فقال : نُبِرُكَ بعمله : لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يمشي بالنميمة ، ولا يعقُ والديه .
وبسنده إلى سالم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي الْحَقِّ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » أخرجاه في الصحيحين^(١) . فإن قيل : إذا كان الحسد مذموماً فكيف مدحه ها هنا . فالجواب : أن المراد بهذا : الغبطة ، مسماها بالحسد مجوزاً ، والغبطة أن تتمنى مثل ما للإنسان من غير حب زواله .

(١) هو عمر بن ميمون بن بحر بن سعد البلخي ، أبو علي القاضي .
(٢) متفق عليه : البخاري في فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ، وفي التوحيد ، باب قول النبي ﷺ : رَجُلٌ آتَاهُ . . . ، ومسلم في صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، والترمذي برقم ١٩٣٧ في البر والصلة .

الباب الثاني عشر



في دفع الحقد

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود عليه في نفس ، ولعمري أن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل .

ويسنده إلى عبد الله بن كعب بن مالك^(٤) ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة ، ونزول توبته ، قال : فدخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله^(٥) يهرول ، حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ١٠/و ، قال : فكان كعب : لا ينساها لطلحة . أخرجاه في الصحيحين^(٦) .

فإذا ثبت أن الجميل لا يُنسى ، فالقبيح كذلك ، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب .

وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح . وللعفو محلان : أحدهما : رؤية الثواب للعافي .

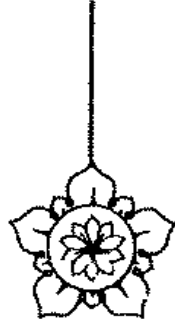
والثاني : شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يهفو . ومن كمال العفو حصول الرضا ، وذلك بمحو ما في القلب . وههنا علاج أدق من هذا ، وهو أن يرى الأشياء من المقدر .

(٤) هو كعب بن مالك بن عمرو ، الأنصاري ، صحابي ، من أكابر الشعراء ، له ٨٠ حديثاً ، توفي سنة ٥٠ هـ «الإصابة» ٧٤٣٣ «الإعلام» ٢٢٩/٥

(٥) أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٦) البخاري في تفسير سورة ٩ ، ومسلم في التوبة : ٥٣

الباب الثالث عشر



في دفع الغضب

لقد بينا أن الغضب إنما رُكِبَ في طبع الأدمي ليحثه على دفع الأذى عنه ، والانتقام من المؤذي له ، وإنما المذموم إفراطه ؛ فإنه حينئذ يزيل التماسك ، ويخرج عن الاعتدال ، فيحمل على تجاوز الصواب ، والغضب حرارة تنتشر عند وجود ما يغضب ، فيغلي عندها دم اللذات طلباً للانتقام ، وربما أثر الحمى وسببه في الغالب الكبر ؛ فإن الإنسان لا يغضب على من هو أعلى منه .
وعلاجه أولاً أن يثبت الغضبان ، ويغير حاله ؛ فإن كان ناطقاً سكت ، وإن كان قائماً قعد ، وإن كان قاعداً اضطجع ليسكن تلك الفؤرة ، وإن خرج في الحال عن المكان ، وبعد عن الم غضوب عليه كان أصح ، ثم يتفكر في فضل كظم الغيظ ، فقد مدح الله سبحانه القوم ، فقال : ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾^(١) . فإن رأى ما سلط عليه بذنبه أو شاهد قدرة المسلط على ما ذكرنا في الحقد هان الأمر .

فصل (الأحاديث التي تدم الغضب)

وقد جاء في هذا أحاديث ، فذكر بسنده إلى أبي هريرة ، قال : أتى النبي ﷺ رجل ، فقال : أوصني ، قال : «لا تغضب» فردد مراراً ، قال : «لا تغضب» . رواه البخاري^(٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٤ .

(٢) البخاري في الأدب ، باب الخلد من الغضب ، الترمذي في البر والصلة برقم ٢٠٢١ ،

الموطأ في حسن الخلف ٩٠٦/٢ .

وقال رسول الله ﷺ وسلم : «ليس الشديد بالصُّرَعَة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١) . أخرجاه .

وأخرجنا من حديث سليمان بن صرد^(٢) ، قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ، ورجلان يستبان ، وأحدهما قد أحمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد» ، فقالوا له : إن النبي ﷺ قال : «نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقال أو بي جنون»^(٣) .

وروى أبو دواد في سنته^(٤) من حديث أبي ذر ، عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلاً فليضطجع» . قال الخطابي : القائم متهيجٌ للحركة والبطش ، والقاعد دونه في هذا المعنى . وفي حديث ابن عباس^(٥) عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا غضب أحدكم فليسكت»^(٦) .

وقال الأحنف^(٧) ما اعترض الثبوت في الغضب إلا وهي شيطان العجلة .

(٣) البخاري في الأدب ، باب الخذر من الغضب . ومسلم في البر والصلة ٢٦٠٩ ، الموطأ في حسن الخلق ٩٠٦/٢ .

(٤) هو سليمان بن صرد بن الحون الخزاعي ، صحابي ، من الزعماء القادة ، شهد الجمل ، وصفيين مع علي رضي الله عنه ، ترأس التوابين ، قُتل سنة ٦٥ هـ ، له ١٥ حديثاً «الإصابة» ٣٤٥٠ «الأعلام» ١٢٧/٣ . . .

(١) البخاري في الأدب ، باب الخذر من الغضب ، وباب ما ينهى من الباب واللغو ، وفي بدء الخلق . باب صفة إبليس وجنوده . ومسلم في البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ٢٦١٠ ، وأبو داود في الأدب ٤٧٨١ .

(٢) أبو داود في الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، ومسنده أحمد ١٥٢/٥ مسند أحمد ٢٣٩/١ (٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، الصحابي الجليل ، له ١٦٦٠ حديثاً ، توفي سنة ٦٨ هـ «الإصابة برقم ٤٧٧٢» «الأعلام» ٩٥/٤ .

(٥) هو الأحنف بن قيس بن معاذية التميمي . أبو بحر ، أحد العظماء الدهاء ، الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضرب به المثل في الحلم ، أدرك النبي ﷺ ، ولم يره ، أخباره كثيرة ، وخطبه وكتبه في شتى الكتب ، توفي بالكوفة سنة ٧٢ هـ «وفيات الأيمان» ٢٣٠/١ «الأعلام» ٢٧٦/١ .

فصل (عواقب الغضب وعلاجه)

ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فوريته لم يؤمن أن تبدر منه نكايه^(١) يندم عليها إما في نفسه أو في المغضوب عليه ، فكم من غضب فقتل وجرح أو كسر عضو ولده ، ثم بقي الدهر نادماً على ما فعل .
ومنهم من ينكأ في نفسه ، فإن رجلاً غضب مرة ، فصاح ، فنفث^(٢) الدم في الحال ، وأدى به الأمر إلى الهلاك فهات .
وَلَكَّمْ رَجُلٌ رَجُلًا ، فَانْكَسَرَتْ أَصَابِعُ اللَّأَكَمِ وَلَمْ يَسْتَضِرْ الْمَلَكُومَ .
ومن العلاج أن يتصور الغضبان حاله عند الغضب ، ثم يتصور حله عند السكون ، حينئذ يعلم أن حالة الغضب حالة جنون ، وخروج عن مقتضى العقل ، ومتى لم يثن عزم الغضبان عن ضرب المغضوب عليه ، فاستقر وغير ذلك ووعد نفسه بالفعل بشرط التثبت ، فإنه إذا حصل التثبت رأى قبح ما عزم عليه فترك .

فصل (غضب السلف الصالح)

وقد كان السلف إذا غضبوا غفروا وصفحوا طلباً لفضيلة العفو وكظم الغيظ .

ومنهم من يرى السبب في إغضابه ذنوب نفسه .
ومنهم من يرى أنه محتبر^(٣) ، إلى غير ذلك مما ذكرناه في باب الحق . وفي بعض كتب الله تعالى^(٤) « يَا أَبْنَا آدَمَ اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ أَذْكُرْكَ إِذَا غَضِبْتُ ، فَلَا أَعْقُكَ

(٦) جرح أو إصابة .

(١) بصق دماً .

(٢) يقصد بذلك التوراة أو الأنجيل أو الزبور .

مَعَ مَنْ أَحَقَّ ، وَإِذَا ظَلِمْتَ فَأَرْضَ بِنَصْرِي ، فَإِنْ نُصِرْتَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نُصْرَتِكَ
لِنَفْسِكَ .

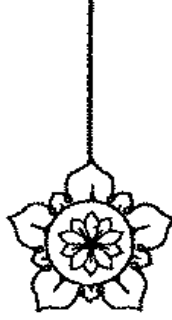
وقال مروق : ما تكلمت بكلمة بشيء في الغضب فتدمت عليه في الرضا .
وكان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه الرجل ، قال : بارك الله فيك .

فصل

(لا معاقبة في حال الغضب)

ولا ينبغي للغضبان على الشخص أن يعاقبه في حالة غضبه ، وإن كان
مُستحقاً للعقوبة ، بل يهل حتى يسكن الغضب ، لتكون العقوبة بمقدار الإساءة
لا بمقدار الغضب . أتى عمر بن عبد العزيز برجل كان واجداً عليه ، فقال : لولا
أني غضبان لضربتكَ ، ثم خلى سبيله .

الباب الرابع عشر



في دفع الكبر

الكبر : تعظيم شأن النفس ، واحتقار الغير ، وذلك يكون سبب الترفع على مَنْ هو دونه ، إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك .
وعلاوة الكبر : الأنفة ممن يتكبر عليه ، والاختيال ، والفخر ، وعجبة تعظيم الناس له .

وعلاج ذلك نوعان (جملي ، وتفصيلي . فأما الجملي ، فنوعان : علمي ، وعملي : فالعلمي في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر ، وأما العملي فصحة المتواضعين وسماع أخبارهم .

أما التفصيلي فأن ينظر إلى رذائل النفس ، وأن يعلم أن يتكبر به إن كان مالاً ، فهو مأخوذ منه عن قريب ، والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لا به ، لأن الغنى بالشيء فقير إليه ، وإن كان علماً فقد سبقه خلق كثير أعلم منه ، ثم علمه ينهاء عن حالته ، فهو حجة عليه . وكذلك إن كان عملاً ثم رؤيته للعمل بعين التهام نقيصة .

فصل

(أحاديث في ذم الكبر)

ذكر بسنده إلى أبي سلمة^(١) ، قال : ألتقى عبد الله بن عمرو^(٢) وابن عمر^(٣) علي المروية^(٤) فنزلا فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو وقعد ابن عمر يكي ، فقيل له : ما يكيك فقال هذا (يعني عبد الله ابن عمرو) زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ كَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»^(٥) . وبسنده إلى إياس بن سلمة^(٦) ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ مِنَ الْجَبَّارِينَ حَتَّى يَصِيَّهُ مَا أَصَابَهُمْ»^(٧) .

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» ، فقال : الرجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ؟ قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ،

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل اسماعيل د روى له الستة ، توفي سنة ٩٤ هـ «تقريب التهذيب ٤٣٠/٢»

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، الصحابي الجليل ، من النشاك ، أسلم قبل أبيه ، كان كثير العبادة ، حتى قال له النبي ﷺ : «إن لجسدك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً» توفي سنة ٦٥ هـ «الإصابة ٤٨٣٨» «الأعلام ١١١/٤» .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٤) جبل تحلة يُسمى منه وإليه في الحج .

(٥) انظر كنز العمال ٥٣٤/٣ برقم ٧٧٧٣ وفيه : الدار قطني في الأفراد .

(٦) هو إياس بن سلمة ، أحد الرواة ، ثقة ، توفي سنة ١١٩ هـ ، وهو ابن سبع وسبعين سنة له في الصحاح والسنن «تقريب التهذيب ٨٧/١» .

(٧) الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر برقم ٢٠٠١ ، وقال : حديث حتى غريب .

وغمط الناس^(١) .

وفي إفراده من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد^(٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : العزُّ إزارِي ، والكِبَرُ ردائي ، فمن نازعني فيهما عذبتُهُ»^(٣) .

قال الخطابي : ومعنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله اختصَّ بهما ، لا يُشركه فيهما أحد ، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الرداء والإزار ، مثلاً يقول (والله أعلم) : كما لا يشرك الإنسان في إزاره وردائه ، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق . قال : وقوله «لا يدخل الجنة مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» يُتَأَلَّ على وجهين : أحدهما : أنه كبر الكفر ، والثاني : أن ينزع الكبر من قلوب أهل قبل دخولهم الجنة . وقوله : «وغمط الناس» أنه أزرى بهم ، واستخف بهم ، ويقال : غمط وغمص .

وبسنده إلى الحسن قال : تراهم يهدرون عنده هدير الفحل : أنت والله ، وتراه مقنعاً ساكتاً يحسب مُحقّق^(٤) أنه مثل ما يقال له . قال : وترى أحدهم يتخزل في مشيته يسحب عظامه عظماً عظماً لا يمشي طبيعة .

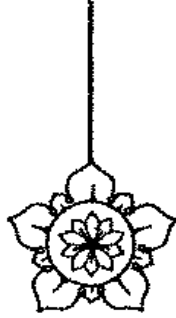
(١) مسلم في الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانته ٩١ ، وأبوداود في الأدب ، باب ما جاء في الكبر برقم ٤٠٩١ ، والترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر ١٩٩٩ .

(٢) هو سعد بن مالك الأنصاري ، الصحابي الجليل المعروف ، له في الصحاح والسنن ، توفي سنة ٦٣ هـ والإصابة ٣٥/٢ .

(٣) مسلم في البر والصلة ، باب تحريم الكبر برقم ٢٦٢٠ .

(٤) تصغير أحق .

الباب الخامس عشر



في دفع العجب

العُجْبُ : إنما ينشأ مِنْ حُبِّ النفس ، والمحجوب لا يرى زلته ، ولا يعتقد نقصه ، بل يرى بعين الكمال . ومن بلايا العجب أنه يؤدي إلى بغض الأمر الذي به وقع العجب ؛ لأن المعجب بنفسه في أمر لا يتزید منه ثم يترقى إلى أن يعيب غيره في الاعتقاد والنقص في سواه .

وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بيّنا آنفاً ، وسؤال الغير عن قبائحها ومعاييبها ، والنظر في أحوال من سبقه إلى ما أعجب به وبرز عليه ، فإن عجب العالم بعلمه فليُنظر في سير العلماء ، أو بزهده فليُنظر في سير الزهاد ، فحينئذ لا يعد نفسه ، فقد كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث ، وكان كهمس بن الحسن^(١) ١٢/ظ يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات ، وصلى سلمان التيمي^(٢) الفجر بوضوء العتمة أربعين سنة .

ومن تأمل سير القوم رأى نفسه فيما حصل بالإضافة إليهم كمن معه دينار يعجب به ، ولا يدري أن في الدنيا من يملك ألفاً كثيرة . ويسنده قال إبراهيم

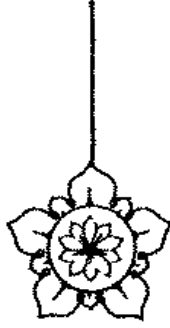
(١) هو كهمس بن الحسن ، أبو عبد الله ، الملقب بالدُّعَاء ، كان ورعاً ، بكاءً ، زاهداً يؤثر الدين على الدنيا وحيلة الأولياء ١١٢١١/٦ .
(٢) أحد كبار الصالحين عُرف بكثرة عبادته وصلاحه .

الخواص^(١) : العجب يمنع من معرفة قدر النفس .

وقال بعض الحكماء : عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله ، وما أضر العجب بالمجلس .

(١) هو إبراهيم بن أحمد الخواص ، أبو اسحاق ، المتبتل ، المتوكل على الله تعالى ، له أقوال في المواعظ سائرة ، منها : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخللاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين ، ومنها : عقوبة القلب أشد العقوبات ، ومقامها أعلى المقامات وحلية الأولياء ٣٢٥/١٠ - ٣٣١

الباب السادس عشر



في دفع الرياء

من عَرَفَ الله حقَّ معرفته أخلص له عمله ، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له ، وتعظيم قدر الخلق ، وإيثار النفس مدحهم ومجدهم ، والناس في هذا المرض متفاوتون ، فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح الخلق له ، ومنهم من يريد الله بعمله ويريد مدح المخلوقين ، ومنهم من لا يقصد الخلق أصلاً ، فإذا اطلعوا عليه حسن العمل وجوده ليمدح ، فهذه آفة دخلت على عمل صحيح .
وعلاج هذا المرض في الجملة : تحقيق معرفة الله سبحانه ، فمن عرفه أفرد القصد له ، ولم ير غيره ، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود ، لا في مقام معبود ممدوح ، ورأى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل فاحترس من تعب ضائع .

والعقوبة على الرياء شديدة ، بسنده حديث عمر بن الخطاب : «إنما الأعمال بالنية ، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١) .

ويسنده إلى أبي موسى ، قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت أن الرجل ، يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً . ١٣ / وفأي ذلك في سبيل الله ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفق عليه^(٢) .

(١) البخاري في بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ، وفي الإيمان ، وسلم في الإمارة باب قوله ﷺ «إنما الأعمال برقم ١٩٠٧

(٢) البخاري في العلم باب من سأل وهو قائم وفي الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وفي التوحيد ، ومسلم في الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة برقم ١٩٠٤ .
والنسائي في الجهاد ، ومسنند الإمام أحمد ٣٩٢/٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ .

وبسنده إلى أبي هريرة ، قال له نائل^(١) الشامي : أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : مَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟

قال : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ : قال : كَذِبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ .

ثم أمر به فُسْحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .
وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ،
فَقَالَ : مَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟

قال : تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ .
فَقَالَ : كَذِبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : هُوَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ . فَقَدْ قِيلَ .

ثم أمر به فُسْحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .
وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : مَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟

فَقَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ .
قال : كَذِبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ .
ثم أمر به فُسْحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ انفرد بإخراجه مسلم^(٢) .
وبسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل : قال : «أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَشْرَكَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٣)

وبسنده إلى محمود بن لبيد : أن رسول الله ﷺ قال : إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ

(١) هو نائل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين . هو تابعي ، كان أبوه صحابياً ، وكان نائل كبير قومه .

(٢) مسلم في الإمامة باب رقم ١٥٢ الحديث رقم ١٩٠٥ .

(٣) مسلم في الزهد باب رقم ٤٦ ، ومسنده أحمد ٣٠١/٢ ، ٤٣٥ .

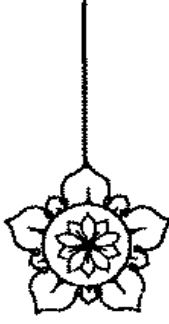
عليكم الشرك الأصغر» قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرِّياءُ ، يقولُ الله تعالى لهم يومَ القيامةِ إذا جازى الناسَ بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون في الدنيا فانظروا هلَ عندهم جزاءٌ(١) ويسنده إلى أبي حازم ، قال : لا يحسنُ عبدُ فيما بينه وبين العباد ولا يعورُ(٢) فيما بينه وبين الله إلا عورَ الله ما بينه وبين العباد ، ولصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها ؛ إنك إن صانعتَ هذا الوجه مالت إليك الوجوه كلها ، وإذا أفسدتَ شتعتك الوجوه كلها .

ويسنده إلى ابن توبة أبو جعفر عبد الله ، قال : رأيت أبا بكر الأدمي القاريء في النوم بعد موته يمدُّ يده ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : وقفني بين يديه ، وقاسيت شدائد وأموراً ما كان شيءٌ أضرب عليّ منها لأنها كانت للدنيا ، فقلت : فإلى أيِّ شيءٍ انتهى أمرك ، قال : قال لي : تعالى آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين .

(١) الترمذي في الحدود باب ٢٤ وفي الفتن باب ٥٩ وفي الزهد ٢٤ وابن ماجه في الحدود ، باب ١٢ ، وفي الزهد ، باب ١٢ ، وفي الزهد باب ٢١ ، ومسنند أحمد ٢٢/١ . ش ٤٤ ، ٧/٣ ، ٣٠ ، ٣٨٢ ، ١٢٦/٤ ، ٤٢٨/٥ ، ٤٢٩ .

(٢) يعور يُسيء .

الباب السابع عشر



في دفع فضول الفكر

اعلم أن الفكر يُراد لاستدراك فارط ، والنظر في مصلحة مستقبلية ، فإذا كان فيما لا يشمرها كان ضرراً ، وإذا كثر أنك البدن ، قال أبقراط^(١) : ينبغي للعلماء أن يتركوا الفكر وقتاً ما لئلا يُنهك أبدانهم . ١٤/و

قلت : ولا يجوز للعاقل أن يُخل نفسه من الفكر ، ولكن يكون فيما يتصور له نيله ، فأما إذا تفكر العاقل في أن يكون خليفة ، وأن ينال علم أبي حنيفة^(٢) والشافعي^(٣) ، ثم يجمع بينه وبين زهد بشر^(٤) ومعروف الكرخي^(٥) ، ويحصل مثل مال عبد الرحمن بن عوف^(٦) ؛ فهذه أفكار تُضنى وتردى ، خصوصاً إذا قنع

-
- (١) حكيم يوناني عاش قبل الميلاد اشتهر بحكمته ، ومواعظه .
 - (٢) هو أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور أحد الأئمة الأربعة ، وإليه نسبة الحنفية له مؤلفات مطبوعة توفي سنة ١٥٠ هـ .
 - (٣) هو الإمام محمد بن إدريس ، أحد الأئمة الأربعة ، إليه نسبة الشافعية ، ولد بغزة بفلسطين ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة ، توفي سنة ٢٠٤ هـ «تاريخ بغداد ٥٦/٢»
 - (٤) هو بشر بن الحارث بن علي المروزي ، أبو نصر ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين ، له في الورع والزهد أخبار ، وهو من الثقات ، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢٢٧ هـ وفيات الأعيان ٩٠/١ «حلية الأولياء ٣٣٦/٨» .
 - (٥) هو معروف بن فيروز الكرخي ، أحد أعلام الزهاد والعباد ، اشتهر بصلاحه ، وكان يقصده الإمام أحمد بن حنبل ، وللمؤلف ابن الجوزي كتاباً في أخباره وآدابه . توفي سنة ٢٠٠ هـ «وفيات الأعيان ١٠٤/٢» «الأعلام ٢٦٩/٧» .
 - (٦) الصحابي المعروف بكثرة ماله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

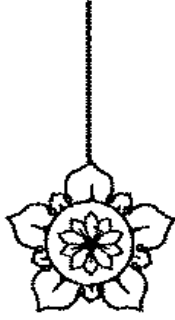
بالفكر ، واستعمل الكسل عن الطلب . وإنما ينبغي أن يتفكر فيما تصل إليه قدمه ، ويطمع لمثله فيه من الخير ، ويتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر ، فقد تفكر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا ، وكثير من الملوك في غرور الدنيا فترهّدوا .

قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه . ويسنده إلى أم الدرداء^(١) ، قيل لها : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء ؟ قالت : التفكير والاعتبار .

ووقف مالك بن دينار^(٢) ليلة في داره على قدمه إلى الفجر ، فقال : ما زال أهل النار يعرضون عليّ بسلاسلهم وأغلالهم إلى الصباح . وقال بعض الحكماء : بترداد الفكر ينجاب^(٣) العمى .

(١) هي زوجة أبي الدرداء ، وقد سبقت ترجمته . انظر فهرس الأعلام .
(٢) هو مالك بن دينار البصري ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، توفي في البصرة سنة ١٣١ هـ - حلية الأولياء ٣٥٧/٢ ، «الأعلام» ٢٦١/٥ .
(٣) ينزاح .

الباب الثامن عشر



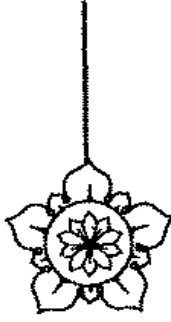
في دفع فضول الحزن

اعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن ؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه ، وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لِقَوْتِهِ .
بسند إلى مالك بن دينار قال : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب .
ويسند إلى ابراهيم بن عيسى^(١)، قال : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، وما رأته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .
ويسند إلى مالك بن دينار قال : بقدر ما تحزن ١٤ / ظ للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك .
وإذا قد تهن أن الحزن لا يزال ملازماً لقلوب المتقين فينبغي أن يتقي إفراطه ؛ لأن الحزن إنما يكون على الفئات ، وقد عرفنا طريق الاستدراك .
وجاء في الحديث : بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات ، فإن كان المحزن عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن . وإن كان ديناً فينبغي أن يقاومه برجاء الفضل والرحمة ليعتدل الحال . فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الحسرة الممين ، فليدفعه العاقل عن نفسه . وأقوى علاجه أن يعلم أنه

(١) هو ابراهيم بن عيسى الزاهد ، صاحب معروف الكرخي . وسمع من أبي داود الطيالسي . من كلامه : المؤمن حسن الظن بالله ، واثق بوعد ، اتخذ التقوى رقيباً ، والقرآن دليلاً ، والخوف محجة ، والصلاة كنزاً وحلية الأولياء ٣٩٣/١٠ .

لا يرد فائتاً ، وإنما يضم إلى المصيبة فتصير اثنتين ، والمصيبة ينبغي أن تخفف عن القلب ، وتدفع ، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلأ ، قال ابن عمر : إذا استأثر الله بشيء فآله عنه ثم في الخلف عن الفائت ما يسلي ، فإن عدم ما يسلي اجتهد في صرف ذلك عن قلبه ، وليعلم أن الداعي إلى الحزن الهوى لا العقل ؛ لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين فليجتهد العلم بأنه لا يفيد ، والإيمان بالثواب ، ويذكر من أصابه أكثر من مصيبته .

الباب التاسع عشر



في دفع فضول الغم والهـم

الغم يكون للماضي ١٥/و، والهـم : للمستقبل ، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفریطه ؛ لأنه يُثاب عليه . ومن اهتم بعمل خير نفعته هـمته . فاما إذا اغتم لمفقود من الدنيا ، فالمفقود لا يرجع والغم يؤذي ، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى ، كما قلنا في الحزن .

وينبغي للحازم أن يحترز بما يجلب الغم ، وجالبه فقد المحبوب ؛ فمن كثرت محبوباته كثرت غمه ، ومن قللها قل غمه .

فإن قال قائل : إذا لم أجد محبوباً اغتممت ؛ قيل له : صدقت ، ولكن لا يبلغ غمك بالعدم معشار عشر غم من فقد المحبوب ، ألا ترى أن من لا ولد له يغتم ، ولكن لا كغم من أصيب بولده .

ثم أن الإنسان كلما طال ألفه لما يحبه واستمتع به تمكن من قلبه ، فإذا فقدته أحس من مر التآلم في لحظة لفقده بما يزيد على لذات دهره المتقدم . وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس كالصحة ، فلا تجد النفس لذتها إلا عند وجودها وفقدتها مناف لها ، ولذلك تألم بالفقد مالا تفرح بالموجود ؛ لأنها ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها ، فينبغي للعاقل تقليل الألفة ؛ فإن اضطر إلى جوالب الغم ، فأثمرت الغم ، فعلاجه في الأول الإيمان بالقدر ، وأنه لا بد مما قضى ، ثم يعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر ، فالبناء إلى النقض ، والجمع إلى التفرق ، ومن رام بقاء مالا يبقى كان كمن رام وجود مالا يوجد ، فلا ينبغي أن يطلب من الدنيا ما لم توضع عليه كما قال الشاعر :

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْإِيْذَاءِ وَالْأَكْدَارِ ١٥/ظ

ثم يتصور ما نزل به مضاعفاً فيهبون عليه حينئذ ما هو فيه ، ومن عادة الخيال الحازم أن يترك فوق حمله شيئاً ثقيلاً ، ثم يمشي خطوات ثم يولي به فيخف الأمر عنه ، ثم ليرتقب زمن العافية هجوم البلاء ، فإذا هجم ما يكرهه .

وليتمثل كلما يتصور نزوله نازلاً ، فإذا نزل بعض ذلك كان ما لم ينزل ربحاً ، مثل أن يتصور أن يؤخذ ماله كله ؛ فإذا أخذ البعض عُذُّ الباقي غنيمة . ويتصور أن يعمى ، فإذا رمد سهل الأمر ، وكذلك جميع المضرات ، قال

الشاعر :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ^(١) فِي نَفْسِهِ مَصَائِبُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا
فَإِنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لَمْ تَرَعُهُ^(٢) لَمَّا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِثْلًا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا
فَإِنْ بَدَّهَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بِبَعْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلَا^(٣)
وَلَوْ قَلَّدَ الْحَزَمَ فِي أَمْرِهِ لَعَلِمَهُ الصُّبْرُ حَسَنَ الْبَلَا
قال بعض السلف : رأيت امرأة فتعجبت من نضارتها ، فقلت : هذا وجه ما طرقة حزن ، فقالت : لا تقل هذا فما يعرف من ناله ما نالني ، كان لي زوج فاشتري أضحية ، فذبحها وله ولدان ، فقال الأكبر للأصغر : تعال حتى أريك كيف ذبح أبي الشاة فذبحه ، فلما طلبناه هرب فخرج الأب في طلبه فهلكا ، فقلت : وكيف حزنك ؟ قالت : لو وجدت في الحزن دركاً لاستعملته .

فصل (الهم والحزن من غلبة السوداء)

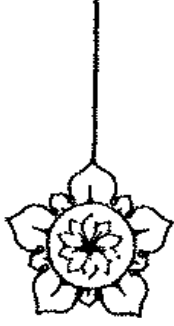
وقد يقع الحزن والغم في غلبة السوداء ١٦ / فيعالج بما يزيل السوداء بالمفرحات . والغم يحمد الدم ، والسرور يلهب الدم ، حتى تعلو حرارته الغريزية ، وجميعاً يضران وربما قتلا إن لم تعجل تفتيرهما .

(١) اللب : العقل .

(٢) ترعه : ترعبه .

(٣) أعولا : من العويل وهو البكاء الشديد مع الصراخ .

الباب العشرون



في دفع فضول الخوف والحذر من الموت

الخوف والحذر إنما هما للمستقبل ، والحازم من أعدد للخوف عدته قبل وقوعه ، ونفى فضول الخوف عما لا بد منه ، إذ لا ينفعه خوفه منه .
وقد اشتد الخوف من الله تعالى بكثير من الصالحين ، حتى سألوا الله تعالى تقليل ذلك . والسبب في سؤالهم أن الخوف كالسوط فإذا ألحَّ بالسوط على الناقة قلقت . وإنما ندب به المتواني ، بسنده إلى سفيان الثوري^(١) ، قال لشاب يجالسه : أتحب أن تخشى الله حق خشيته ؟ قال : نعم ، قال : أنت أحق ، لو خشيته حق خشيته ما أديت الفرائض .

فصل

(لا ينبغي للعاقل الإفراط في الخوف)

ولا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض ، فإنه نازل لا بد وخوف مالا بد أن يأتي زيادة أذى .

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ، له مؤلفات في الحديث ، وكان آية في الحفظ والتقوى ، توفي سنة ١٦١ هـ وحلية الأولياء ٣٥٦/٦ ، والأعلام ١٠٥/٣ .

فأما الخوف من الموت والفكر فيه ، فإنه لا سبيل إلى دفعه عن النفس ، وإنما يخفف الأمر العلم أنه لا بد منه ، فلا يفيد الحذر إلا زيادة على المحذور . وكلما تصوّرت شدته كانت كل تصوّيره موتاً . فليصرف الإنسان فكره عن تصور الموت ليكون ميتاً مرة لا مرات ويكون صرف الفكر ربحاً .

وليعلم أن الله تعالى قادر على تهوينه إذا شاء ، وليوقن بأن ما بعده أخوف منه ، ١٦/ظ لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة ، وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الموت ليعمل له لا لنفس تصوّيره وتمثيله ، فإن خطر على القلب الحزن على فراق الدنيا ، فعلاج ذلك أن يعلم أنها ليست بدار لذة ، وإنما لذاتها راحة من مؤلم . ومثل هذا لا ينافس فيه ؛ فإن حزن العاقل على فراق الدنيا لفوت العمل الصالح ، فقد كان السلف يحزنون لذلك .

قال معاذ بن جبل عند موته : اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لفرس الأشجار ولكن لظماً المهاجر^(١) ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر .

(١) المهاجر : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر . لأن الناس يستكنون في بيوتهم ، كأنهم قد تهاجروا من شدة الحر .

فصل

(في من نزل به الموت)

ومن نزل به الموت : فليعلم أنها ساعة تحتاج إلى معاناة صعبة ؛ لأن صورتها ألم محض ، وفراق المحبوبات ، ثم ينضم إلى ذلك هول السكرات ، والخوف من المال .

ويأتي الشيطان فيسخط العبد على ربه ويقول : انظر في أي شيء ألقاك ، وما الذي قضى عليك ، وكيف يؤمك ؟ وما أنت تفارق ولدك وأهلك وتلقى بين أطباق الثرى !

فربما أسخطه على ربه ، وكره قضاء الله تعالى إليه ، وأنطقه بكلام يتضمن نوع اعتراض ، وربما حَسُنَ إليه الجور في الوصية ، وأن يزوي لبعض الورثة ، إلى غير ذلك من المحن . فتعين حينئذ الحاجة إلى معالجة إبليس ومعالجة النفس . وقد نقل ١٧ / أبو داود من حديث أبي اليسر^(١) ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول : أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي^(٢) الشيطانُ عند الموت^(٣) . وفي تلك الساعة يقول الشيطان لأعوانه : إن فاتكم الآن لم تقدروا عليه أبداً .

(١) هو الصحابي الجليل كعب بن عمرو ، أبو اليسر ، السلمي ، الأنصاري البصري ، توفي بالمدينة سنة ٥٥ هـ «تقريب التهذيب ١٣٥/٢»

(٢) تَخَبَّطَهُ الشيطان : إذا صرعه ولعب به ، والخبط باليدين كالرمح بالرجلين .

(٣) أبو داود في الصلاة ، باب الاستعاذة برقم ١٥٥٢ ، والنسائي في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من التردى .

فأما العلاج لتلك الشدائد ، فينبغي أن نذكر قبله مقدمة ، وهو أن من حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه ، ومن راقب الله في خطراته حرسه الله عند حركات جوارحه .

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرضا يعرفك في الشدة»^(١) .

ثم قد سمعت قصة يونس عليه السلام لما كانت له أعمال خير متقدمة انتاشته من شدته ، فقال تعالى : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) .

ولما لم يكن لفرعون عمل خير لم يجد وقت الشدة متعلقاً ففعل له : ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣) .

وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت ؛ سيأتي لهذه الساعة خبأتك فأما من ضيع في صحته ، فإنه يضيع في مرضه .

كما نقل عن بعض الصحابة أنه رأى شيخاً يطلب من الناس ، فقال : هذا ضيع أمر الله في صغره ، فضيعه الله في كبره .

فأما نفس العلاج فينبغي أن تشجع النفس ، وتقول لها : إنما هي ساعة . ثم أرجو كمال الراحة ، كما قال عليه السلام : «لا تَكُربْ على أبيك بعد اليوم»^(٤) .

ودُعي ١٧/ ظ أبو بكر بن عياش^(٥) عند الموت إلى الرجاء ، فقال : كيف لا أرجوه ، وقد صمت له ثمانين رمضان .

وقال المعتمر بن سليمان^(٦) : قال لي أبي : يا بني اقرأ علي أحاديث الرخص

(١) الترمذي في صفة القيامة باب رقم : ٦٠ برقم ٢٥١٨ ، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٤٤

(٣) سورة يونس ، الآية ٩١

(٤) رواه ابن ماجه في الحبايز باب : ٦٥ برقم ١٦٢٩

(٥) هو أبو بكر بن عياش الأسدي الخناط ، من الرواة ، ثقة ، توفي سنة ١٩٤ هـ «تقريب التهذيب ٣٩٩/٢ .

(٦) هو المعتمر بن سليمان التيمي ، أبو محمد البصري ، ثقة ، من كبار المحدثين ، توفي سنة ٣٠٠ هـ

لعلِّي ألقى الله وأنا حسنُ الظنِّ به .
فينبغي للمؤمن أن يرمي صوت الخوف ، ويحدو الناقة ، كما قال حادي
البادية :

بشرها دليلاً وقال غداً ترين الطلح والجبال
يسنده إلى أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله عز وجل : أنا
عند ظنِّ عبدي بي متفق عليه»^(١) .

ويسنده إلى جابر ، قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول :
«لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن» أخرجه مسلم^(٢) .
وقال الفضيل بن عياض^(٣) : الخوف أفضل من الرجاء ، فإذا نزل الموت
فالرجاء أفضل .

قلت : وهذا صحيح لما بينا من أن الخوف سوط يساق به المتواني ، فإذا كلَّ
البعير لم يبق إلا الرفق ، فإن قيل : فما تقول في خوف عمر بن عبد العزيز عند
الموت ؟ فالجواب : أنه لما تعلقت به حقوق الرعية خاف من مطالب طبعه مبني على
الشح كان يقول : إنما أخاف ولايتكم هذه ، على أنه قد كان يتمسك بأذيال
الرجال ، فإن ابن عباس لما قال له : أبشر يا أمير المؤمنين وليت فعدلت ثم
شهادة ، فقال : أتشهد لي بهذا عند الله يا ابن عباس^(٤) .

≈ ٢٨٧ هـ وقد جاوز الثمانين .

- (١) البخاري في التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر
الله تعالى برقم ٢٦٧٥ ، الترمذي في الدعوات ، باب حسن الظن بالله برقم ٣٥٩٨ .
- (٢) مسلم في صفة الجنة برقم ٢٨٧٧ ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، أبو داود
في الجنائز برقم ٣١١٣ ، باب ما يستحب من الظن بالله تعالى عند الموت .
- (٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي ، أبو علي ، شيخ الحرم المكي ، من أكابر
الصلحاء ، كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه الإمام الشافعي ، من كلامه «من عرف الناس
استراح» توفي سنة ١٨٧ هـ وحلية الأولياء ٨٤/٨ الأعلام ١٥٣/٥
- (٤) مسند الإمام أحمد ٤٦/١

فصل

(اشتداد المصيبة والأجر عليها)

فإن اشتد بالمريض كرب ، فليحسب ذاك في باب الأجر ١٨ / و ، فقد كانوا يستحبون للمريض شدة النزع ليكفر ذلك عنه الذنوب .
بسند إلى ابراهيم ، قال : كانوا يستحبون أن يجهدوا عند الموت .
وذكر بسنده عن عمر بن عبد العزيز قال : ما يحب أن تهون علي سكرات الموت أنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

فصل

(التوبة من كل ذنب)

وينبغي للمريض ما دام ثابت العقل أن يتوب ليلقى الله طاهراً من كل ذنب ، وأن يجرد وصيته ، وأن يسلم أهله وولده إلى الله سبحانه وتعالى ؛ فإنه يتولى الصالحين .

فصل

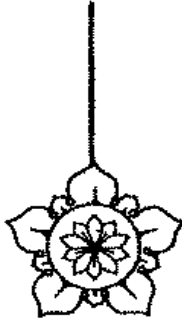
(الموت واقع لا محالة)

فإن أزعجه الشيطان بذكر البلى ، فليعلم أن البلى واقع على المركب ، والراكب قد رحل ، وليعلم أن الشريعة قد مضت بوصول المؤمن بعد الموت إلى النعيم الدائم ، فمن حق الإيمان لم يحزن ؛ لأن مآل المؤمن إلى الخير . ومن لم يتحقق الإيمان فليحزن لفقد التحقيق .
ويسنده إلى كعب ، عن النبي ﷺ قال : ونَسَمَةُ المسلم طيرٌ تعلق في شجر

الجنة حتى يُرجعها الله إلى جسده»^(١) .
ومقصودنا من هذا الباب أن يكون الخوف من الموت بمقدار ؛ لئلا ينهك
البدن ، ويبالغ في الأذى ، وأن يخاف لما بعد الموت فيعمل له .

(١) عن أم هانئ الانصارية ، انظر كنز العمال ٦٨٧/١٥ برقم ٤٢٧٥٣ لفظ وبرقم ٤٢٧٥٤

الباب الحادي والعشرون



في دفع فضول الفرح

إذا اشتد الفرحُ التهاب الدم ، وذلك يضر ، وربما قتل إن لم يعدل ، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح أن يدرج نفسه إليه . فإن يوسف عليه السلام لما التقى بأخيه سأله : هل لك من أب ١٨ / ظ ؟ ولم يزل يلاطفه لئلا يفاجأه بالسبب المفرح .

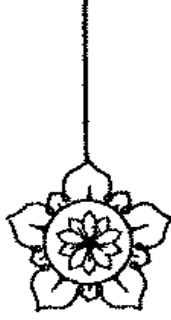
والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن ، فأما إذا أفرط ، فإنه دليل على الغفلة القوية إذ لا وجه للفرح عند العاقل ، فلئما يفرح بالطبع لما يفرح ، ثم يذكر مصيره وخوف مآله ، فينمحي ذلك الفرح ، ومتى قويت غفلة الفرح حلت إلى الأشيرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر .
وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما قد سلف من الذنوب وفيما بين يدي العبد من الشدائد .

وقد قال الحسن البصري : فضح الموت الدنيا ، فلم يترك للذي لب فرحاً^(١) .

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٦

(٢) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ٣١٦

الباب الثاني والعشرون



في دفع الكسل

الموجب للكسل حبُّ الراحة ، وإيثار البطالة ، وصعوبة المشاق . وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك : أن النبي ﷺ كان يُكثر أن يقول : «اللهم إني أعوذُ بِكَ مِنْ الهَمِّ والحزن والعجز والكسل»^(١).

وفي أفراد مسلم من أفراد أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ ، وفي كُلِّ خيرٍ احرص على ما ينفعك ، واستعين بالله ، ولا تعجز ؛ فإن أصابك شيءٌ فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا كان كذا وكذا ١٩/و . ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن (لو) تفتح عملَ الشيطان»^(٢).

وقال ابن مسعود : إني لأبغض الرجل أراءه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة .

وقال : يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم ، يسمون

(١) البخاري في الدعوات ، باب العوذ من فتنة المحيا والممات ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل وباب التعوذ من أرذل العمر ، وفي الجهاد باب ما يتعوذ من الجبن ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من العجز والكسل ٢٧٠٦ والترمذي في الدعوات ، باب الاستعاذة من الهمة والدين ٣٤٨٠ ، ٣٤٨١ ، وأبو داود في الصلاة باب الاستعاذة ١٥٤٠ ، ١٥٤١ والنسائي في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من البخل ومن الهَم ومن الحزن .

(٢) مسلم في القدر ، رقم ٢٦٦٤ ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز .

الآتيان .

وقال ابن عباس : تزوّجُ التواني بالكسل ، فولد بينهما الفقر .
وقال مالك بن دينار : ما من أعمال البر شيء إلا ودونه عقبة فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح ، وإن جزع رجع .
قال سفيان الثوري : مضى القوم على الخيل العتاق وبقينا على حمر دبيرة .

فصل (علاج الكسل)

وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد ، وبالوقوع في عقاب اللوم ، أو بالحصول في بيد التأسف ؛ فإن أسف المفرط إذا عاين أجر المجتهد أعظم من كل عقاب .

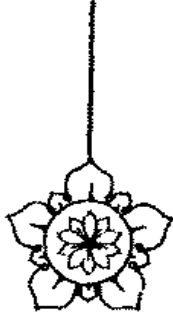
وليفكر العاقل في سوء مغبة الكسل ، فربّ راحة أوجبّت حسرات وندماً .
ومن رأى جاره قد سافر ، ثم عاد بالأرباح ، زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافاً . وكذلك إذا برع أحد الرفيقيّن في العلم ، وتكاسل الآخر .
والمقصود أن ألم الفوات يربو على لذة الكسل .

وقد أجمع الحكماء على أن الحكمة لاتدرك بالراحة ، فمن تلمّح ثمرة الكسل اجتنبه ، ومن مدّ فطنته إلى ثمرات الجد نسي مشاق الطريق .
ثم إن اللبيب يعلم أنه لم يخلق عبثاً ، وإنما هو في الدنيا كالأجير أو كالتاجر .

ثم إن زمان العمل بالإضافة إلى مدة البقاء ١٩ / في القبر كل لحظة ، ثم إضافة ذلك إلى البقاء السرمدي إما في الجنة وإما في النار ليس بشيء .
ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين ، فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح ، وتارك الاستلاب وقت النثار .

بسنده إلى فرقد ، قال : إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل ، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه ، فإذا فرغ اغتسل وليس ثوبين نقيين ، وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل .

الباب الثالث والعشرون



في تعريف الرجل عيوب نفسه

أعلم ان :

النفس محبوبة ، وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب ، وفي الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس ، فيُنزِلُها منزلة العدو في المخالفة ، فيظهر له عيوبها .
قال : إياس بن معاوية ^(١) : من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق ، فقل له :
فما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام . وهذا أمر نادر ، والعمل على الغالب ، فإن أن يخفي الإنسان عيوب نفسه ، ولستأ نريد أنه لا يعرف عيباً ، فإن العاقل إذا أتى عيباً عرفه ، وإنما غرضنا العيوب الباطنة ، فإنها كالأمراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب ، فيصف لها دواء ، ولا عليها إمارة ، ومحبة الإنسان لنفسه تمنعه أن يرى العيب الخفي عيباً كما قال الشاعر :

وَعَيْنُ الرضا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمساوِيا

وقد روي أن رجلاً صاحب رجلاً ، فلما أراد أن يفارقه ، قال له : أخبرني عن ٢٠/ و عيبي ، فقال : سل غيري ، فلاني كنت أراك بعين الرضا .
فإن قيل : فإذا كانت العيوب باطنةً والإنسان لا يراها عيوباً ، فكيف

(١) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني ، قاضي البصرة ، أحد أعاجيب في الفطنة والذكاء ، كان صادق الخلدس مُلهماً وجيهاً ، توفي سنة ١٢٢ هـ «وفيات الأعيان ١/ ٨١» وحلية الأولياء ١٢٣/٣ والأعلام ٢/ ٣٣٣ .

الطريق إلى تعرفها ؟ فالجواب أن لذلك سبع طرق :
الطريق الأول : أن يتخير صديقاً من أعقل مخالطيه ، ويسأله إبانة ما يرى
من قبيحه ، ويعرفه أن ذلك منة منه عليه ، فإذا أخبره ابتهج بما سمع منه ، ولم
يظهر له الحزن على ذلك ، لئلا يقصر في شرح الأمور ، ويقول له :
متى كتمتني شيئاً عددتك غاشاً .

والطريق الثاني : أن يبحث عما يقوله فيه جيرانه وإخوانه ومعاملوه ، وبماذا
يمدحونه أو يذمونه .

والطريق الثالث : أن يتطلع إلى ما يقول فيه الأعداء ، فإن العدو ببحاث
عن العيوب . ومن هذا الوجه ينتفع الإنسان بعدوه مالا ينتفع بصديقه ؛ لأن
العدو يذكر النقص ، والصديق يستر الخلل ، فإذا عرف الإنسان من طريق عدوه
نقصه اجتنبه .

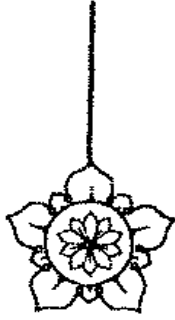
والطريق الرابع : أن يصور أفعاله في غيره ، ثم يستعمل منها
ما يستحسن ، ويترك ما يستقبح .

والطريق الخامس : أن يعمل فكره في عواقب خلاله وثمراتها ، فيرى عيب
العيب ، وحسن الحسن ، فإن الفكر الصادق نافذ .

والطريق السادس : أن يعرض أعماله على محك الشرع ، ويربها نافذ
العقل ، ويضعها في موازين العدل ، فإنه يرى الأرجح والأدون .

والطريق السابع : أن ينظر في سير العاملين ، ثم يقيس أفعاله بأفعالهم ،
فيرى حينئذ أن آثار النقص عيب فيجتنبه ، فضلاً عن فعل القبيح .

الباب الرابع والعشرون



في تنبيه الهمة الدنية

إذا كانت الهمة الدنية طبعاً لم ينجع فيها العلاج ، فإن كانت مكتسبة بصحبة الأدنياء ، أولغلبة الطبع والهوى ، فعلاجها قريب .
وذلك ٢٠ / ظ من وجوه ، منها : مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم ، ومواصلة أرباب الهمم العالية . ثم التفكير بالعواقب ، ومآل الدناءة ، ومصير أولي الجد والاجتهاد ، كما قال عبد الصمد ^(١) : مات رجل من السعاة ، وقد بقي له شرط ، والناس يقولون له : مت اليوم تحبى أبداً . فانتبهت بها .
ومن تفكر في المرتفعين في الهمم علم أنهم كهو من حيث الأصلية والأدمية ، غير أن حُب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه ، فساروا وهو قاعد ، ولو حرك قدم العزم لوحد ، قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصالُ امرئٍ فكُنْ تَكُنْ مثلَ ما أعجبتك
فليس على الجودِ والمكرُماتِ إذا جنتها حاجباً يحجبك

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء ، وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالى ومن الضعفاء وأهل الحِرَفِ الدنية ، إلا أن الهمم أثرت فاثارت عن موطن .

ولو تفكر أرباب الهمم الدنية في عواقبها ، وما يجيء عليهم لرأوا البطالة

(١) هو عبد الصمد الزاهد .

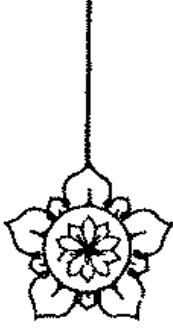
عدواً ، وإنما صحبوا دناءة الهمة تعجلاً للراحة ، وما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل والسقوط من أعين الناس والإهانة بهم أعظم من كل كرب وشدة .
وما يناله أرباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة يُنسي مرارة كل نصب . فكأنه ٢١ / من استراح ، ولا استراح من تعب .

بسنده إلى أنس قال : قال رسول الله ﷺ : يُؤَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ، فيصبغ في النار صبغة ، ثم يُقال له : يا ابن آدم ، هل رأيت خيراً قط ؟ هل مررت بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يارب . ويؤى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ في الجنة صبغة ، ثم يُقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مررت بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يارب ما مررت ببؤس قط ، ولا رأيت شدة قط ،^(١) .

وبيان هذا أن التعب ينقضي ، وتبقى الراحة ، والراحة تذهب ، وتبقى الحسرة ، والمقام موسم ، والقوات معترض ، والاستلاب عاجل ، وفي بعض هذا إزعاج معترض ، والاستلاب عاجل ، وفي بعض هذا إزعاج للمتواني .

(١) مسلم في المنافقين ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار برقم ٢٨٠٧ ، ويصبغ : أي يغمس في النار أو في الجنة كأنه يدخل إليها إدخالاً واحدة .

الباب الخامس والعشرون



في رياضة النفس وتهذيبها

الأصل في الأمزجة الصحة ، والعلل طارئة ، وكل مولود يولد على الفطرة . ويوضح ما قلناه أن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والكودن لا تنفعه الرياضة ، والسبع وإن رُبّي صغيراً لا يترك الاقتراس إذا كبر . وقد عرفت تلك الحكاية : (فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَنْبٌ) وأعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة : قوة ناطقة ، وقوة شهوانية ، وقوة غضبية ، فينبغي لمن شرفه الله تعالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضل الله تعالى بها على سائر الحيوانات ، وشارك بها الملائكة ، فيجعلها هي المسطرة على القوتين الأخريين ، أعني الشهوانية والغضبية ، لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس ، فإن الفارس ينبغي أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه ، فيمضي بها أين يشاء ، ويعقبها إذا شاء . فكذا ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي ٢١/ظ المستعلية على باقي القوى ، تستعملها كما تحب ، وتكفها حين تحب .

ومن كان كذلك استحق أن يسمى إنساناً حقيقة ، قال أفلاطون^(١) : الإنسان بالحقيقة مَنْ كانت نفسه الناطقة أقوى الأنفس ؛ لأن الشهوانية إذا أفرطت خرج الإنسان إلى طبع البهيمية ، ومن سيب هواه في مرعاه ، وجعل حبله على غاربه ، فقد خرج عن مركزه ، فصار أخس من البهائم ؛ لأن تلك تمضي بطباعها . وهذا قد خالف طبعه . ومتى أفرطت القوة الغضبية خرج الإنسان إلى

(١) الفيلسوف اليوناني المشهور ، صاحب نظرية المثل ، والذي تأسى به الكثير من فلاسفة العرب . انظر كتابي «القواسم المشتركة بين افلاطون وابن عربي مروراً بابن سينا والفارابي»

أخلاق السباع والضواري . فينبغي أن يروض نفسه بمخالفة الشهوانية ، ويكسر الغضبية ، ويتبع القوة الناطقة ، حتى يتشبه بالملائكة ، ويتحرر من عبودية الشهوة والغضب .

فصل

(رياضة النفس بالتلطف)

واعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف ، والتنقل من حال إلى حال ، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف ، ولكن بالتلطف ، ثم يمزج الرغبة والرغبة . ويعين على الرياضة صحبة الأخيار ، والبعد عن الأشرار ، ودراسة القرآن ، والأخبار ، وإزالة الفكر في الجنة والنار ، ومطالعة سير الحكماء والزهاد .

وقد كان بعض السلف يشتهي الخلواء فيعدها لنفسه ، فإذا صلى بالليل أطعمها .

وكان الثوري (١) يأكل ما يشتهي ، ثم يقوم إلى الصباح ، ويقول : أطعم الزنجي ولده . وما زال المحققون يلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها . وقال بعض جيران مالك بن دينار : سمعته ليلة يقول لنفسه : هكذا فكوني ، فلما أصبحت قلت له : ما معك في الدار أحد فلمن قلت ؟ قال : إن نفسي طلبت مني ٢٢ / أدماً (٢) وألحت ، فمنعتها الطعام ثلاثة أيام ، فلما كانت الليلة وقد انقضت الأيام وجدت كسرة يابسة ، فبادرت إليها ، فقلت : قفي آتيك بخبز لين ، فقالت : قنعت بهذه . قلت : هكذا فكوني . واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجدد جدت وإذا عرفت منك التكاسل

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ما يؤكل مع الخبز .

طِيعْتُ فَيْكَ ، كما قال الشاعر :

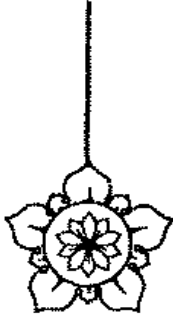
ويعرفُ أخلاقَ الجوادِ جِوَادُهُ فيجهدُهُ كِرَاءً ويرهقُهُ ذِعْرًا
ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول ، ومحاسبتها في كل تقصير
وذنب ، فإذا تمت رياضتها حمدت ما ذمت من تعبها ، قال ثابت البناني^(١) :
كابدتُ الليلَ عشرين سنةً ، وتنعمتُ به عشرين سنةً .
وقال أبو يزيد^(٢) : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقطها
وهي تضحك . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

مازلتُ أبكي كلما نظرتُ إلى أن اختضبتُ أجفانها بدمي
وبعد هذا فلا ينبغي أن ينسى حقها ، فإن من حقها إعطاءها حظوظها التي
لا تقدح في مقصود الرياضة ، فإنها إذا منعت مقاصدها في الجملة عمي القلب ،
وتشتت الهمم ، وتكلف التعب .
واعلم أن قدر النفس عند الله سبحانه أعظم من قدر العبادات . ولهذا أباح
الفطر للمسافر ، وإنما يعقل هذا العلماء .

(١) هو ثابت ابن أسلم البناني ، أبو محمد ، قال عنه أنس بن مالك ، إن للخير مفاتيح ، وإن
ثابتاً مفتاح من مفاتيح الخير ، كان أعبد أهل زمانه ، كان يقوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان
السحر قال في دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره ، فأعطنيها
وحلية الأولياء ٣١٨/٢ - ٣٣٣ .

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، أفردت ترجمته بتصانيف
حافلة ، توفي سنة ٢٦١ هـ .
وحلية الأولياء ٣٣٣/١٠ ، والأعلام ٢٣٥/٣ .

الباب السادس والعشرون



في ذكر رياضة الأولاد

أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرو
كان رده صعباً ، قال الشاعر :

إن الغصونَ إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشبُ
قد ينفعُ الأدبُ الأحداثُ في مهلٍ وليس ينفعُ في ذي الشيبةِ الأدبُ

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم ، خصوصاً في حق الصبيان ، فإن
ذلك يُفيدهم أن يصير الخير عادة ، قال الشاعر :

لا تنسَ عن أدبِ الصغيرِ وإن شكا ألمَ التعبِ

واعلم أن الطبيب ينظر إلى سن المعالج ومكانه وزمانه ، ثم يصف ،
فكذلك ينبغي أن تكون رياضة كل شخص على قدر حاله .

وأما فلاح الصبي وفساده تتبين من طفولته ، فالنجيب منهم يتنبه
بالتعلم ، والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم ، كما لا يصير الهجانة بالريضة
نجيباً ، وينبغي أن يتلطف بالصبي ، قال رجل لسفيان الثوري : ضرب أولادنا
على الصلاة . قال : بل بشرهم .

وكان زبيد الياقي يقول للصبيان : من صلى منكم فله خمس جوزات .

وقال إبراهيم بن أدهم^(١) : أي بُني اطلب الحديث ، فكلما سمعت حديثاً
فلك درهم ، فطلب الحديث على هذا .

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي ، أبو اسحاق ، زاهد مشهور ، أبوه من أهل
الغنى في «بلخ» تفقه ورحل إلى بغداد ، ثم رحل إلى الشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من
العلماء ، كان يعيش من العمل في الحصاد وحفظ البساتين ، ويشترك في الجهاد لقتال
الروم ، جاءه عبد لأبيه (يحمل إليه عشرة آلاف درهم) يخبره أن أباه مات وترك مالاً
عظيماً ، فأعتق العبد ، ووهبه المال ، ولم يعبأ بمال أبيه ، كان زاهداً ومن النساك ، توفي
سنة ١٦١ هـ «حلية الأولياء ٣٦٧/٧» «الاعلام ٣١/١» .

فصل

(الأبناء أمانة لدى الآباء)

وليعلم الوالد أن الولد أمانة عنده ، فليجنبه قرناء السوء من الصغر ، ولا يعود ، وليلق إليه الخير ، فإن قلبه فارغ يقبل ما يُلقى إليه ، وليحبب إليه الحياء والسخاء ، وليلبسه الثياب البيض ؛ فإن طلب الملون قال له : تلك ملابس النساء والمخانيث .

وليأدر بأخبار الصالحين ، وليجنبه أشعار الغزل ، لأنها بذر الفساد ، ولا يمنع من أشعار السخاء والشجاعة وينجد ؛ فإن أساء تغافل عن إساءته ، ولا يهتك مؤدبه ما بينه وبينه من السر ، ولا يوبخ إلا سراً ، ويمنع من كثرة الأكل والنوم ، ويعود الخشونة في المطعم والمفرش ٢٣/و ؛ فإنه أصبح لبدنه ، ويعالج بالرياضيات الجسائية ، كالمشي ، ويؤدب بالنهي عن استدبار الناس ، والامتخاط بينهم ، والتشاؤب ؛ فإذا علقت به خلة قبيحة بُولغ في رده عنها قبل أن تتمكن . ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللطف ، فقد قال لقمان^(١) لابنه : يا بني ضرب الوالد للولد مثل السباد للزرع .

وإذا رآه عرماً في صغره ، فليتلطف به ، فقد قال ابن عباس : عرامة الصبي زيادة في عقله .

(١) الحكيم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة لقمان ، وسميت السورة باسمه .

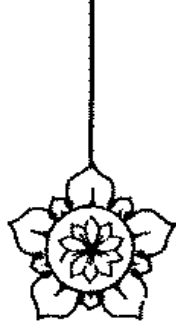
فصل

(أصول تربية الأبناء)

وكان الحكماء يقولون : ابنك ربحانتك سبع سنين ، وخادمك سبع سنين ، فإن صار ابن أربع عشرة سنة ، فإن أحسنت إليه فهو شريكك ، وإن أسأت إليه فهو عدوك .

ولا ينبغي أن يُضربَ بعد بلوغه ، ولا أن يُساءَ إليه ، لأنه حينئذٍ يتمنى فقد الوالد ليستبد برأي نفسه ، ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه ، إلا أن الرفق متعين بالكل .

الباب السابع والعشرون



في رياضة الزوجة ومداراتها

من المتعين المبالغة في النظر به هذا الباب ، فأصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه ، فقد قالت الحكماء : البكر لك ، والشيب عليك . إلا أنه من أعظم الغلط أن يتزوج الشيخ الكبير طفلة ، فإنها تصير كالعدو ، ولكنه يجبرها عن أغراضها ، ولا تقدر أن تفي بمرادها ، وهي تنفر عن الشيخ طبعاً . فإن ابتلى الإنسان بذلك ، فليسم بغضه عندها بحسن خلقه واحتماله وكثرة الإنفاق ٢٣/ظ عليها .

فصل

(أصول معاملة الزوجة)

وقد أمعنا الشرح لهذه الجملة في كتاب «الشيب» ، وينبغي أن يتزين لها كما يجب أن تتزين له ، ويستر جسده عنها ، فلا ترى منه إلا المستحسن ، وكذلك ينبغي لها أن تفعل .

فصل

(الاعتدال في معاملة الزوجة)

ولا ينبغي للرجل أن يمزح مع المرأة ، فتطمع فيه طمعاً يُخرجها عن طاعته ، ولا أن يسلم ماله إليها فيصير هو كالرهن في يدها ، فربما استغنت ، واستوثقت لنفسها ، ثم تركته . وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا^(١)﴾ ، بل ينبغي أن يمزح بنوع من الهيبة .

فصل

(السبيل إلى اصلاح المرأة)

وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها ، ومن خروجها من بيتها ، وإطلاعها من ذروته ، وأن تكون عنده عجوز تؤدبها ، وتلقنها تعظيم الزوج ، وتعرفها حقوقه ، وتعظم قليل الإنفاق عندها ، وتكون كالحافظ ، فإن عقل الصبي مأفون^(٢).

فصل

(المرأة المناسبة للشيخ)

وإن وجد الشيخ امرأة قد خرجت عن زمان الصبا ، ولم تدخل في الكهولة ، كانت أصلح ، وأطيب لعيشه ، وأقل امتناناً عليه ، وأكثر توقيراً له .

(١) سورة النساء ، الآية : ٥ .

(٢) ضعيف ، ناقص . انظر «معجم مقاييس اللغة أ.ف.ن»

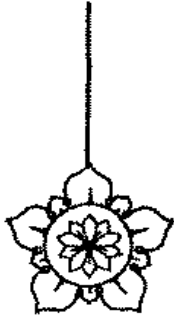
فصل (زواج الشباب)

فأما الشاب ، فإنه يدل ولا يدل ، فإذا أراد التمتع بالنساء ، فالرأي له إن كان له مكنة اشترى الجواري الصغار ، فإنهم لم يعرفن الغيرة ، وهي قليلة عندهن لموضع الملكة ، وقدرته على الاستبدال والبيع ، ولتكن معهن حافظة ، ولتكن على الحافظة حافظة .

فصل (كثرة النساء)

ومَنْ رزق ٢٤/ و امرأة على مراداته ، ليهب ما فات لما حصل ؛ فإن الأصول إذا كانت محفوظة لم تذكر الفروع ، وكثرة النساء تحتاج إلى مؤنات عظام ، أقلهن حفظهن .

الباب الثامن والعشرون



في رياضة الأهل والممالك ومداراتهم

اعلن أن الأهل إذا رأوك قد فقتهم بمال أو جاء حسدوك ، ومقاطعتهم محرمة ، فالمدارة لازمة ، وذلك بالبرّ لهم مع كتمان بواطن الأحوال عنهم .
ومن أعظم الغلط حرمان بعضهم ، وإعطاء البعض ، فمن اختار ذلك فليجتهد في إسرار الأمر لئلا يشتري بالمنع البغض .
وأما الممالك فإنهم مالكون على الحقيقة للملكية ؛ لأن المطاعم والمشارب إليهم ، فينبغي أن يتلطف بهم لئلا يحتالوا على القتل . قال بزرجمهر^(١) : نحن ملوك على رعيتنا ، وخدمنا ملوك على أرواحنا ، ولا حيلة لنا في الاحتراز منهم ، فنحن ندارهم .
وليجهل الملك مع اللطف بهم هية ، إلا أن البرّ لهم يكون أغلب ، وأكثره في حق من يسلم إليه الروح ، وهو صاحب المطعم والمشرب .
واعلم أن الممالك وإن كانوا أهل ذكاء وفطنة لم يستتر منك عنهم شيء ، وربما احتالوا عليك . وإن كانوا أهل غباوة لم تبلغ غرضاً في استخدامهم ، لأنك تريد الشيء فلا يفهمون مرادك .
والصواب استخدام أهل الغفلة منهم في الدواخل ، وأهل ٢٤/ظ الذكاء منهم خارج البيت فحيثئذ تتم الأغراض .

(١) من ملوك فارس ، له حكم ومواعظ .

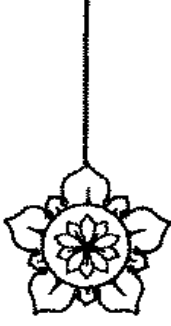
فصل

(الحذر من المراهقين)

ومن أعظم الغلط دخول المملوك المراهق^(١) إلى البيت ، خصوصا إن كان حسن الصورة ، وفي البيت نسوة . فإن الشر لا يؤمن ، فإن سلمن من ميل إليه ، سلم هو من ميل . وكذلك من باب المخاطر ترك الولد البالغ بين الجواري . ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبا ينسيان مقدار الحرمة والتحريم . فهذه أصول ينبغي أن يداوى بدوائها ، ولا تمهل ؛ فإنها تجر أموراً صعبة .

(١) الذي قارب الاحتلام .

الباب التاسع والعشرون



في معاشرّة الناس ومداراتهم

لما كانت طباع الناس تختلف ، كانت مداراتهم لذلك صعبة ؛ فأصلح ما استعمل العاقل العزلة عنهم مهما يمكن ؛ فإنها راحة عظيمة ، فإذا اضطر إلى مخالطتهم خالطهم بالتلطف ، وإيفائهم الحقوق ، وإهمال حقه عليهم ، والحلم عن جاهلهم ، والعفو عن ظالمهم ، وإيثار متكبرهم بالمجلس .
ومن أعظم ما يملكهم به السباح والعطاء ، فإنه يسترى به من لم يكن ينقاد .
وقد جاء في الحديث «مداراةُ الناس صدقة»^(١) .

فصل

(معاملة العالم للسفهاء)

وإذا ابتلي العالم بمخالطة العوام ، فينبغي أن يلبس جنة^(٢) الحذر ؛ فإن أغراضهم مختلفة ، يُرضى أحدهم ما يسخط الآخر ، ويغضب من الصواب لأنه يراه خطأ ٢٥/و ، ولا يقبل مع جهله أقوال العلماء .
فليبعد العالم عنهم ما استطاع ؛ فإن مخالطتهم تشينه ، تنقص من مقداره في

(١) ابن حبان في صحيحه ٣٤٧/١ ، برقم ٤٧١ ، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن جابر ، وانظر «كتر العمال» ٤٠٦/٣ .
(٢) «ستره الحذر» .

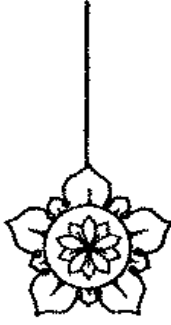
أعينهم ، فيهون علمه عندهم . ولورآه عاص يضحك أو يأكل ، أو سمع أنه قد تزوج لم يبق له عنده قدر ، فالحذر منهم ؛ فإنهم قتلة الأنبياء .

فصل

(الاضطرار إلى مجالسهم)

فإذا اضطر إلى مجالستهم فليقلل الكلام معهم ، وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه ، ولا فيه احتمال لما لا يصلح لخطابهم ، وبعد هذا فالسلامة منهم طريقة .

الباب الثلاثون



في ذكر السيرة الكاملة

علامة الكامل تربية القدرة^(١) له من الطفولة ، وإعطاؤه الرأي التام ، والعقل الوافر من الصغر ، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾^(٢) ، وتخلق له همة عالية وشرف نفس ، فتحمله على طلب المعالي ، وتمنعه ركوب الدنيا ، فتتنزه في نكبه يحب أن يكون رئيس الصبيان ، فإذا ترعرع كان الأدب شعاره من غير تعلم ، والحياء لباسه من غير ترهيب .

وأقل الرياضة فيه يؤثر كما ينفع المسن الفولاذ ، ولا ينفع الحديد ، فإذا عقل واستدل على صناعته ، وعلم لماذا خلق ، ونظر بماذا خوطب ، وإلى أين يصير ، وما المراد منه ، شمر عن ساق وساق ، فيطلعه العلم على حقائق الأمور ، فيرى أن أفضل الأشياء ما يقربه من خالقه ، ثم يرى أن أقرب ما يقرب به العلم والعمل ، فيجتهد في إكمالها على غاية ما يطيق منها بدنه ، وينهض النية والعزيمة بحمل الباقي .

وأنت ترى خلقاً يقتصرون على بعض فنون العلم ، فهذا مع النحو جميع عمره ، وهذا مع الحديث طول دهره ، وهو يرى أن كل العلوم مقصود ، غير أنه لما علم أن العمر لا يسع الكل ، أخذ ما يحتاج إليه من الكل زاداً لمسيره ، ونهض للعمل بمقتضاه ، فتراه ينتهب العمر خوف أن يذهب ، وما نال المراد ، ولا يضيع لحظة في غير مهم ، وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم لعلمه بقصر المدة ، كما

(١) في المخطوط : القدر

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٥١ .

قال الشاعر :

فأقضوا مآربكم عَجَلاً إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وتراكمضوا خَيْلَ السُّبَاقِ وَبَادِرُوا أَنَّ تُسْتَرَدَّ فِلَانُهُنَّ عَوَارِي

فهو أبداً يجتهد في عمارة وقته ، ويقهر هواه لإصلاح أمره ، ويقطع من العلم مهمه ، فقلبه مشغول عن اللهو بتصحيح قصده ، وجوارحه مقبلة بالجد على طاعة ربه ، وقد اقتنع بما رزقه الله عن منن خلقه ، وعف عن أموالهم حفظاً لعرضه فسادهم بغناه عنهم ، وأزال فسادهم بوعظه ؛ فإن عاملهم بالانصاف لم يأخذ عليهم بفضله ، وإن استشاروه اجتهد في نصحتهم على أنه مشغول على الكل بنفسه متأهب للنقلة ، همه جمع رحله يؤدي إلى كل لحظة فرضها من الحراسة بقوى لربه ، ويستظهر بكثرة الزاد لعلمه طول شوطه .

ثم يجتهد في تهذيب العلم في حياته ليحيى به أثره بعد موته ، وقد زهد في الدنيا ، ولا يتناول إلا قوت وقته ، فإن فسح لنفسه في مباح فمراده تقوية جملة على عمله ، ثم لم يزل به عرفان خالقه ، حتى دعاه إلى حبه ، فانصب الحب ، وانخرط في سلكه ، فهو بين الخلق بجسمه ، وعند الخالق بقلبه ، أولئك ريحان الله في أرضه ، نفوس أنفاس المريدين باستنشاق ريح أحدهم ويلفظه ، ويفوح نشر صدقهم بعد دفن راجلهم في لحده ، قد ألبست قبورهم هيبه تخبر عن كل بقدره ، وإذا ذكرت أعمالهم يقوى بها المريد في طريق صبره . والمتقون في فلك القيامة نجوم . وهم كشمسه أو كبدرة ، رزقنا الله وفاقهم ٢٦/ و ، ووهب لنا لحاقهم ، وألبسنا أخلاقهم بسعة فضله ، إنه سميع قريب من عبده .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

آخر الكتاب والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم ..
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ١ - ١٠ - تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة البيان - دمشق.
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ١ - ٢ - لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار خدمات القرآن - دمشق.
- ديوان أسماء الله الحسنى - محمد عبد الله القولي - دار اليمامة - دمشق - مكتبة دار التراث - حلب - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف - للعلامة العارف بالله أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري - تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد البلطهجي - دار الخير - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص - لمحمد الحجار - دار الكتاب النفيس - حلب - الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ.
- سنن ابن ماجه ١ - ٢ - للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي - تحقيق عزت عبيد الدعاس - حصص - سورية.
- سنن الترمذي - لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغي الترمذي - تحقيق عزت عبيد الدعاس - مكتبة دار الدعوة بـحمص - سورية.

- سنن الدارمي - بعناية الشيخ محمد احمد دهمان - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سنن النسائي - لأحمد بن علي بن شعيب بن علي بن أبو عبد الرحمن النسائي.
- صحيح البخاري ١ - ٦ - للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي - ضبط وترقيم وتخرّيج وشرح الدكتور مصطفى ديب البغا - دار اليمامة - دمشق.
- صحيح مسلم ١ - ٥ - لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- كلمات القرآن تفسير وبيان - للشيخ محمد مخلوف - دار الهجرة - دمشق - ودار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ١ - ٢ - تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - المكتبة العلمية - بيروت.
- مختار الصحاح - للإمام محمد بن أبي بكر الرازي - ضبط وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا - دار اليمامة - بيروت.
- المسند - للإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي ودار صادر - بيروت - لبنان.
- معجم لغة الفقهاء - للدكتور محمد رواس قلعه جي والدكتور حامد صادق قنبيتي - دار النفائس - بيروت.
- المعجم المدرسي - لمحمد خير أبو حبيب - وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية - دمشق.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١ - ٧ - أ. ي. فنسك - ليدن - بريل.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

فهرس الموضوعات

٧	مقدمة التحقيق
٩	الدراسة عن المؤلف
٣٠ - ٢٩	مقدمة المؤلف
٣٣	الباب الأول: في فضل العقل
٣٥	الباب الثاني: في ذم الهوى
٣٧	الباب الثالث: في الفرق بين ما يرى العقل وبين ما يرى الهوى
٣٩	الباب الرابع: في دفع العشق عن النفس
٤١	الباب الخامس: في دفع الشره
٤٦	الباب السادس: في رفض رئاسة الدنيا
٤٩	الباب السابع: في دفع البخل
٥١	الباب الثامن: في النهي عن التبذير
٥٢	الباب التاسع: في بيان مقدار الاكتساب والانفاق
٥٣	الباب العاشر: في ذم الكذب
٥٤	الباب الحادي عشر: في دفع الحسد
٥٨	الباب الثاني عشر: في دفع الحقد
٥٩	الباب الثالث عشر: في دفع الغضب
٦٣	الباب الرابع عشر: في دفع الكبر
٦٧	الباب الخامس عشر: في دفع العجب
٦٩	الباب السادس عشر: في دفع الرياء
٧٣	الباب السابع عشر: في دفع فضول الفكر

٧٥	الباب الثامن عشر: في دفع فضول الحزن
٧٧	الباب التاسع عشر: في دفع فضول الغم والحلم
٧٩	الباب العشرون: في دفع فضول الخوف والحذر من الموت
٨٦	الباب الحادي والعشرون: في دفع فضول الفرح
٨٧	الباب الثاني والعشرون: في دفع الكسل
٨٩	الباب الثالث والعشرون: في تعريف الرجل عيوب نفسه
٩١	الباب الرابع والعشرون: في تنبيه الهمة الدنية
٩٣	الباب الخامس والعشرون: في رياضة النفس وتهذيبها
٩٧	الباب السادس والعشرون: في ذكر رياضة الأولاد
١٠٢	الباب السابع والعشرون: في رياضة الزوجة ومداراتها
١٠٥	الباب الثامن والعشرون: في رياضة الأهل والماليك ومداراتهم
١٠٧	الباب التاسع والعشرون: في معاشرة الناس ومداراتهم
١٠٩	الباب الثلاثون: في ذكر السيرة الكاملة
١١١	الفهرس

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على
الظالمين الحمد لله القائل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

صدر للمؤلف

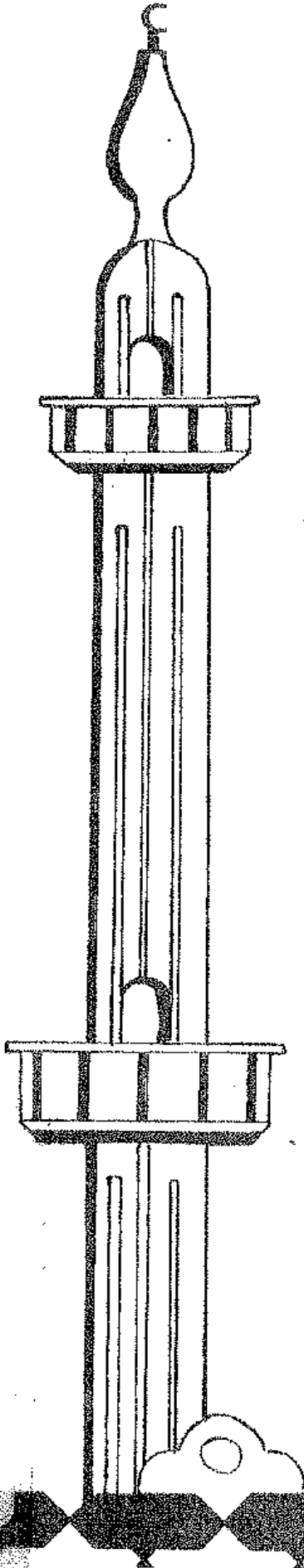
المجموع في الضعفاء والمتروكين	النسائي - البخاري - الدارقطني تحقيق	دار القلم
المراسيل (الأحاديث المرسلة)	لأبي داود السجستاني تحقيق	دار القلم
مشيخة ابن تيمية (الأربعون)	للإمام الذهبي تحقيق	دار القلم
نور اليقين في السيرة	للخضري تحقيق	دار القلم
اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء	للخضري تحقيق	دار القلم
المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن	للمؤلف إعداد وتقديم	دار العلم للملايين
معجم طبقات الحفاظ والمفسرين	للمؤلف إعداد وتحقيق	عالم الكتب
مشكاة الأنوار	للغزالي تحقيق	دار الكتب والإيمان
التيبان في آداب حملة القرآن	لننوي تحقيق	دار النفائس
العقيدة	لأحمد بن حنبل تحقيق	دار قتيبة
شرح الأربعين النووية	لننوي تحقيق	دار قتيبة
العلم اللاني	لننوي تحقيق	دار قتيبة
مسائل الإمام أحمد	لأبي داود السجستاني تحقيق	دار قطري
الصلاة	لأحمد بن حنبل تحقيق	دار قطري
أذكار الأذكار	للسيوطي تحقيق	دار قطري
الكبائر	للإمام الذهبي تحقيق	دار قطري
التيبان في شرح اللؤلؤ والمرجان	للمؤلف شرح وبيان	دار الرشيد
المنتقد في المعتقد	للطحاوي تحقيق	دار الرشيد
سفر السعادة	للفيروز آبادي تحقيق	دار لبنان
اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع	لأبي الحسن الأشعري تحقيق	دار لبنان
لمح الأدلة	للجويني تحقيق	دار لبنان
مختصر صحيح مسلم	للمنذري تحقيق	دار لبنان
أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين - للمؤلف		
جواهر صحيح البخاري	للمؤلف	دار العلوم
معجم الأدوات النحوية واعرابها	للسيوطي تحقيق	دار ابن هاني

الكلم الطيب	لابن تيمية	تحقيق	دار الرائد العربي
الوابل الطيب	لابن قيم	تحقيق	دار الرائد العربي
شرح ابن دقيق العيد على الأربعين	للنووي وابن دقيق	تحقيق	دار الرائد العربي
الأربعون النووية	للنووي وابن دقيق	تحقيق	دار الرائد العربي
الايمان : أصوله وثمراته	للجزائري	تحقيق	دار الأنوار
الطب الروحاني	لابن الجوزي	تحقيق	دار الأنوار
السهروردي المقتول	للمؤلف	اعداد	دار الأنوار
عقيدة أرباب التقى	للسهروردي (العارف)	تحقيق	دار الأنوار
الجواهر الكلامية	للجزائري	تحقيق	دار الأنوار
السيرة الكاملة	لابن النفيس	تحقيق	
أصول وقوانين سياسية	للفارابي	تحقيق	دار الجليل
مختصر شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز	تحقيق	دار المعارف
السيرة النبوية	ابن عربي	تحقيق	دار الأنوار
عرش الرحمن	ابن تيمية	تحقيق	دار العطاء

هَذَا الْكِتَابُ

يتحدث عن تهذيب الأخلاق والسمو بها،
ومعالجة أمراض القلب، والسبل المؤدية إلى
الكمالات الإنسانية التي ترقى بالنفس البشرية
إلى أن تفتح لها أبواب النعيم وتحظى برضاء الله
عز وجل.

وجاءت موضوعاتها زاخرة بالفوائد والنصائح
أولاً بأول إلى مدارج التائبين العابدين الناصحين
في الدنيا والآخرة ...



To: www.al-mostafa.com